رحلة إلى شاطئ البحر

بقلم : ف . س . بريتشيت   ترجمة : محمود فلاحة

بعد أن أوصلت شقيقتها الى مقربة من الفندق انطلقت سارة به ، بالمستر أندروز كما كانت عن عمد تدعوه ، الى المحطة في الجانب البحري من المدينة · كان الصمت يلفهما ، خرج من السيارة ، وقال ببرود : « شكرا لك ··· ودائماً » · ولكنها خرجت هي أيضا ، وقالت : « آه ! لا ، اني قادمة معك حتى الرصيف ، كي أراك وأنت تصعد الى القطار » · نظر الى ساعة يده ، يالله ! كان عليه أن يحتملها سبع

(*) السير فكتور سودن بريتشيت Sir Victor Sawden Pritchette كاتب وناقد بريطاني ، ولد سنة ١٩٠٠ في بلدة ابسويتش بمقاطعة سافولك ، وتلقى دراسته العالية في مدرسة السين .

شغل مناصب أكاديمية عديدة ، وألقى محاضرات في اربع جامعات اميركية منها جامعة براندايز ، كما درّس في عدد من الجامعات البريطانية ومنها جامعة كيمبريدج . وشغل رئاسة تحرير مجلة نيوستيتسمان بضع سنوات .

له عشرات الكتب ، تتضمن مجموعات قصصية ، ودراسات أدبية ونقدية متنوعة ومنها : العذراء الاسبانية ، لاشيء كالجلد ، ربما لن تحدث ، مفتاح قلبي ، وجوه غريبة . ومن آخرماكتب دراسة عن الكاتب الروسي تورغنيف نشرها سنة ١٩٧٧ . وقد نشر قصته هذه ، التي نقدمها ، في صحيفة التايمز اللندنية ، ٢٣ ايار ١٩٨١ . (المترجم)

دقائق أخرى • وقفت بمحاذاته ، تكاد أن تلتصق به ، دون أن تود تركه حتى قدوم قطار لندن • وحتى حين اعتذر ، كي يهرب منها ، واتجه الى باب دورة المياه الذي كُتب عليه « رجال » ، سارت معه ووقفت حذرة تترقب أمام الباب •

وحين خرج ، ووصل القطار أخيراً هرعت اليه ، وكانت على وشك أن تدفعه الى أقرب مقصورة في القطار ، وتغلق الباب دونه لولا أن ركاباً آخرين كانوا يتجمعون وراءه • ومع ذلك لم تتحرك ، بل أخذت عند الباب المفتوح تتمتم ببعض العبارات القصيرة ، قالت « نحن لانريدك هنا لتفسد حياتها ثانية » ، و « تدوس على مشاعرها » •

لم ينبس أندروز ببنت شفة ، بل جلس في مقعده الركني محمر الوجه حمرة حجر أبردين الغرانيتي ، ينظر أمامه ، متجاهلا اياها ، وذقنه مرفوعة وأنفه شامخ بكرامته • كانت هي امرأة قصيرة حادة ، ذات شعر رمادي جاف ، وفي مثل سنه • وقبيل أن يغلق الحمال الباب ، ويهتز القطار هزة الانطلاق صرخت بأعلى صوتها : « آمل ألاّ نراك ، أبداً ، ثانية هنا » •

ورفع بعض المسافرين صحفهم الى أمام أعينهم بعد أن رمقوه بنظرة على حين حدّق بعضهم الآخر به • وفي الدقائق الخمس الاولى ، وبينما كان القطار يزيد من سرعته ، جلس هو ساكناً دون أن يغير من تعابير وجهه ، ثم وقف وغادر المقصورة وهو يلقي بنظرة احتقار

على كل من فيها • تفحص تذكرته واتجه نحو مقصورة فارغة في عربة الدرجة الاولى ، وجلس وحيدا ينظر بخواء نحو المباني والاشجار والحقول وهي تتراجع في غسق الربيع الرطب •

لقد وصل أندروز ، ذلك الصباح ، من لندن ، كي يقضي يوما أو ربما أسبوعاً اذا سارت الامور سيرا حسناً • والمرء لايستطيع أن يحدد ذلك ، ولكنه سيتنسم هنالك نشقة من هواء البحر كي ينظف رئتيه المليئتين بدخان لندن • وفكر وهو يخرج من المحطة بالسمك ، وأن يتناول غداءه في فندق جورج الذي بدا له خير مكان ، وتخيل المحارات ، وسمك صول دوفر ، وكأساً من النبيذ الأبيض الذي صبغ وجنتيه بذلك اللون الوردي •

ثم مضى ، بملابسه التي هي خير مما يرتديه الناس في عيد الفصح ، يتسكع متفحصاً مايراه • كان أرمل في الستين من عمره ، أمضى حياته العملية في تجارة السجاد ، ففتنته وكأنها فأل حسن • واتماماً لمواهبه بوصفه بائعاً كانت صالة الفندق مفروشة بسجادة جديدة في لون الشوكولاته عليها رسمة كبيرة لزهرة الاقحوان • لقد كان سعيدا ، وفي مشيته الصامتة هذه كان رجلا باتت الشوارع سجاجيد بالنسبة له ، وارتسمت على وجهه ابتسامة محسن عام يحمل في جيبه مفاجأة هادئة : فقد كان يبحث عن زوجة •

وتطلع الى بيت أو اثنين معروضين للبيع ، اذ أراد أيضاً بيتا الى

جانب البحر ، ولكن الاسعار كانت مرتفعة جدا ، فتبخر حلمه هذا ، استدار الى عنوان الانسة لويزا برودر التي كانت سكرتيرته طـوال سنوات قبل أن تتوقف ، فجأة ، أعماله ، وحين صعد الى القطار كان قد ظن أنها احتمال ، ان لم تكن عدم وجود الافضل ،

★ ★ ★

ان الاتصال هاتفياً بالآنسة لويزا برودر يتطلب أعصابا قوية ، لانها تركت مكتبه منذ خمس سنوات عقب مشادّة وشجار ، الا أنه لم يكن من الناس الذين يأبهون كثيرا لأخطاء الماضي ولما فيه مـــن صواب ، فقد عرف المشكلة التي بدأت في معرض تجاري في مدينة برايتون Brighton وهي منتجع أكبر من هذا المنتجع ، وعللها بسن لويز أو بوفاة والدتها ، فهذه الامور العائلية ، مثل تنكيد شقيقتها الغيور التي لم تكن لها قط آية مودة ، تكدر حياة وتنّغصها وتجعلها ، كمـا اعتادت زوجته ديزي أن تفعل ، تصب جام غضبها على الآخرين ، وبطريقتها الغيورة والحسودة ، والغيرة هي خطيئتها الوحيدة ، ربما كانت ستصرخ : « لويزا امرأة ، لاتنس ذلك » ومع ذلك ، كثيرا مامكثت لويزا في بيتهما في العطلات الاسبوعية ، بوصفها صديقة ، تقريباً ، للاســرة ،

وأصابته صدمة شديدة حين لم تبعث اليه بكتاب تعزية حين توفيت

زوجته ، فبعث اليها باعلان وفاة ديزي في الصحف تأنيباً دون أن يرفقه بأي تعليق منه • ولكنها لم ترد لفترة طويلة ، ثم وصلت اليه منهـا رسالة قصيرة موقعة توقيعاً رسميا باسم لويزا برودر ، وقالت فيها انها أسفت لقراءة النبأ السيء ، وأن ديزي كانت « زوجة وفية ، وأماً رائعة لأبنائها • » •

ان هذه الملاحظة القصيرة الجافة يمكن ، بالطبع أن تدعى ردا اذا أريد اعتبارها كذلك ، ولكن ما صدمه أكثر من أي شيء آخر هو سبب تأخر ردّها ، فقد انتقلت من لندن ، وأتت لتعيش في هذه البلدة في بيت على شاطىء البحر • ودلّ العنوان الجديد على ماأصابها مـن تحول : فهي تعيش حياة جديدة في بيت جميل يطل على البحر • وأخذ يردد هذه العبارات وكأنها كلمات أغنية شائعة في هذه الأيام •

لم يخبر أندروز لويزا أنه قادم ، فالمفاجأة أساسية في التعامل مع النساء ••• مرّ بصف المنازل الهادئة على المرتفع أمام شاطىء البحر ، وخاب فأله حين وجد نفسه أمام مسكن صغير وضيع لايطل على البحـر ، علقت على احدى نوافذه بطاقة تحمل كلمة تـوحي بالحطة كُتب عليها : « يوجد غرف خالية » • آه ، لقد تراجعت وانحدرت • وكان في مرآب الى جانب المكان سيارة بيضاء قديمة ، وتنطلق من الغرفة الامامية ، حين قرع جرس الباب ، أصوات موسيقى خافتة تنبعث من جهاز تسجيل • لم يتلق أي جواب ، فقرع الجرس ثانية • وحين فتـح

الباب طفت الموسيقى على صوته ، فرفعه حين تكلم الى شاب أصهب الشعر ، يحمل بيده كتاباً ، بدا شعره وكأنه يتراقص مع الانغام ٠

قال الشاب : « ادخل » ، ثم صاح لمن في الطابق الاول : « سالي ، هنالك رجل عجوز يسأل عنك » ، وعاد الى الغرفة الامامية ٠ فألقى أندروز نظرة خاطفة على منظر « البساط المشمع » الممدود على أرض القاعة ٠ كان البيت باردا تفوح منه رائحة الدهان ٠ وأطلت سارة ، لا لويزا ، من أعلى الدرجوقالت : « الغرف مليئة » ٠ ولكنها هبطت الدرج ، تفرك يديها ، نصف منكمشة ، نصف مستعدة لخوض معركة وتذكر أندروز أن أفراد أسرة برودر جميعهم ينكمشون ٠ أغلقت باب غرفة الجلوس ، وقالت ثانية : « لقد قلت : ليس عندنا أماكن » ٠ ثم خطت الى الوراء وقالت وكأنها تبتلعكتلةكبيرة من الشك والارتياب: « السيد أندروز !! ماذا تريــد ؟ » ٠

فردّ أندروز ، وهو لايزال يتخذ مظهر الرجل المحسن ، ولكن ذي العينين النفاذتين : « كنت أتمنى أن أرى لويزا ، حدث أن أتيت الى هنا لاداء بعض الاعمال ، ورأيت أن أمر هنا للحظات » ٠

قالت وهي تتفحصه : « لقد خرجت ، ثم ٠٠٠ واذا كان لي أن أسأل، لِمَ تريد أن تراها ؟ هل تنتظرك ؟ »

ـ « لا ، مفاجأة صغيرة ليس الاّ ، متى ستعود ؟ لقد كتبت لي بلطف شديد حين توفيت ديزي ـ زوجتي ديزي كما تعلمين » ٠

فقالت الأخت بحدّة : « أعلم ذلك ، فقد أرتني الرسالة » .

ـ « لم أعلم أنها انتقلت الى هنا » .

قالت : « أظن انها تستطيع أن تنتقل اذا أرادت ذلك » .

ـ « بلدة صغيرة ولطيفة فعلا . لقد كنت أبحث عن مكان لي ، انك تبدين بصحة جيدة ياسارة » .

والحقيقة أنها لم تكن كذلك ، فقد بدت صفراء شاحبة . فقالت : « مكان هنا ؟ لقد قلت لك أن لامكان عندنا » . وبدت الآن هلوعة تماماً ، فتفحصته من أعلى رأسه الى أخمص قدميه ، وقالت مترددة : « أتعني أنك تبحث عن « منزل » هنا ؟ » . وفي تلك اللحظة رن جرس الهاتف الموضوع على مائدة القاعة ، فقالت له : « تعال الى غرفة الطعام » .

ودفعته الى احدى الغرف وقالت له : « ابقَ هنا » . وكانت للغرفة نافذة على الطراز الفرنسي ، تطل على حديقة صغيرة مهملة ، فرأى النبتات الربيعية متأخرة تلك السنة ، وقد لوت سيقانها الرياح الشرقية .

وسمعها تجيب على التليفون ، ثم سمع صوت خطوات في الغرفة العليا ، ثم وهي تهبط سريعة على الدرج ، وصوت لويزا .

فقال اندروز : « انها لاتزال كذوبة » .

كانت الغرفة صغيرة ، ذات أثاث هزيل من النوع الذي يباع في

تصفيات المواسم • فهنالك مائدة لامعة من خشب السنديان ، عليها تمثال لعداء خائر القوى ، وبدت الكراسي المصفوفة حولها كالأيتام ، وخوان صغير عليه زجاجة من صلصة البندورة الحادة • وعلى رفالموقد وضعت « مزهرية » ، فيها زهور اصطناعية ، وصورة فوتوغرافية لعجوزي أسرة برودر واقفين في حديقتهم مثل المتقاعدين المنهكين المعسرين ، فهذه أسرة فقيرة كانت لويزا تساعدها ، وهي البنت الامهر والابرع بين الاخــوات •

وكان هنالك كرسي قديم تعيس المنظـر ذو ذراعين لايجرؤ أحد على القعود عليه • فتقبل أندروز أن يكون جد جريء وقعد ، وأخذ ينقر على الذراعين طوال فترة انتظاره ، وتوقفت المكالمة الهاتفية ، وسمع الآن صوت الاختين : كان صوت سارة يتسلل عبر الباب كما لو أن أحدا سيهمس ويناقش بصوت مخنوق ، على حين بدا صوت لويزا ، التي قالت قليلا على طريقتها العملية ، دافئاً رغم وجود بعض السخرية فيه • وتذكر ، لقد كانت قليلة تحريك الشفتين حين تتكلم ، وحتــى في لحظات ازعاجه واياها كان معجباً بالطريقة التي يملأ صوتها بها ، لفترة وجيزة ، مكتبه وحتى الشارع عندما يغادران المكان معاً وهي تردّدَ ، على طريقة العوانس ، حقائق شهيرة لاتنسى وطريفة • لقد كانت خلال سنوات عملهافي مكتبه نحيفة، ممشوقةالقد، مسترجلة نشطة ، وكان يدهشه دوماً قول زوجته الغيور عنها : « انها تعرف ماتطلب » •

وانفتح الباب ، ودخلت لويزا وهي ترتدي معطفاً رماديا ثقيلا وتحمل حقيبة يد كبيرة • وكان من مبادىء أندروز ، خاصة في تعامله مع النساء أن يبتسم ثم يبين على الفور لمن يخاطبه أنه كان على خطأ •

قال : « أخبرتني سارة أنك في خارج المنزل ، فقد وصلت لتوي في زيارة غير متوقعة » • (وكأن هذه حق خاص له) •

فردت بطريقتها المصححة ، وعلى حد سواء ، ولكن بتكاسل كان جديدا عليه : « كنت أرتدي ملابسي كي أخرج • قالت سارة انك حضرت في عمل الى هنا » •

ابتسم وقال : « لا ، ليس تماماً » •

★ ★ ★

ثم صرّح لها ، وبكل رقة : « أتيت خصيصاً لأراك ، ولأشكر لك رسالتك » •

وما عدا الصوت الذي لم يتغير ، لم يستطع أندروز ، بل خشي ، أن يصدق أن هذه الامرأة المتكاسلة هي لويزا التي عرفها معرفة وثيقة • فطول رحلته بالقطار الى بلدتها بدت ، وكأنها تتقافز عبر أسيجة الحقول وتختفي في الاحراش ، امرأة طويلة نشطة ، ولم تكن في غالب الحالات أكثر من حاجبين وعينين كبيرتين مطيعتين • وكانت أثناء عملها في المكتب ، تخفض بمهارة كتفيها لانه أقصر منها ، أما الان

وفي هذه الغرفة فبدت قصيرة ، كما بدا شكلها وجسمها أكثر جاذبية ٠ وكانت يداها ، اللتان اعتادتأن تشبكهمامعآ، متباعدتين عن بعضهما ومسترخيتين ، وكان شعرها الاسود المرسل متموجآ ، وبدت الخصلتان البيضاوان ، لتقدمها في السن وارتدائها نظارتين ، فوق أذنيها أنيقتين وشفتاها ثابتتين ، ولكن أسنانها لم تحظ بذلك الاعتناء القديم ٠

وتصبح حرة تماما حين لم يكن فوق مكتبها أي شيء لتعمله وليس لديها أوراق لتسلمه اياها أو مكالمات هاتفية لترد عليها أو أشياء تذكره بها ، ولكنها طالما عملت حتى وقت متأخر في المكتب معه لانها ، وهذا ما كان يعلمه ، كانت تبغض العودة الى منزلها ٠ كانت مرحة ، ولكنها قلما ضحكت ٠ لقدكرست حياتها للمكتب ، ولكن الخطوط العصبية التي سببها العمل فيه قد اختفت الآن ، وبدا وجهها متفتحآ مرتاحآ ٠

ومع ذلك ، وبعد أن تحدثا قليلا ، قالت بسخرية أستاذ المدرســة العجوز الذي لايشعر بأي ضيق : « وهكذا ، فقد بت* ارمل يامورتون Morton » .

كانت تتحدث عنه وكأنه أحد الاصناف ، ومورتون هو اسمه الثاني، وهي لم تستخدم قط اسمه الاول ، الفرد ، فهذا خاص بزوجته فــي البيت ٠

قال ، شبه متبجح « بهذه الحقيقة » : « نعم ، أصبحت كذلك » ٠

فقالت : « يصعب أن تفقد شخصاً أحببته ، فأنا أعرف كيف شعرت أنا نفسي حين توفيت والدتي ، وقد تمنت تثميناً عاليا ما فقدت » ٠

ان هذا يلفت نظر المرء حين يفكر بشكاواها من أمها ، وأسخطهآنه كان عليه أن يقطب حاجبيه كي يشير الى امساك دموعه ٠

لقد نسي غيرة ديزي من لويزا وصمت لويزا تجاه ديزي ماعدا رسالة التعزية تلك ، ووجد نفسه فجأة يغوص في حكاية مرض ديزي الطويل وموتها ، وكيف أن شعرها بدا ،قبل وفاتها بأسبوع ، ذهبياً ثانية كما لو أنها فتاة صغيرة ، وكيف أن لونها عاد اليها ٠ فتساقطت دموعه ، وانزلقت الى زاوية فمه ٠

وسألته لويزا : « ألا تزال تعيش في ذلك البيت الكبير ؟ »

ـ « لا ، فقد انتقلنا منذ خمس سنوات ، وحين تقاعدت ، الى بيت أصغر » ٠

فاستحسنت لويزا البيت الاصغر ، وقالت : « انني واثقة أن‌تصرفك هذا كان حكيماً » ٠

وسألته بدون اكتراث : « وكيف تدبر أمورك ؟ ومن يعتني بك ؟ »

انه لم يأت كي يحدث لويزا عن هذا ، فمنذ وفاة زوجته جنح الى الهذر والتحدث مطولا مع الاناس المحليين في الحوانيت ، وحتى في الشوارع حيث يسكن ، ومع أي انسان عما في حياته الجديدة من

مستحدث مربك • ولم يستطع أن يوقف نفسه ، فالحزن قد جعله شخصا جديدا ، وأطلق هو على نفسه ضمير « أنت » •

واخذ يخاطب لويزا . « تستيقظين في الصباح اذا لم تنسي أن « تربطي » الساعة المنبهة في الليلة السابقة ، وتهبطين الدرج ، وتتشاغلين في المطبخ المبارك ، لنقل هكذا ، وتهيئين فنجانا من الشاي وتحملينه وتبدئين الصعود الى الطابق الاعلى ، ثم تتوقفين : أنت ترين ، تستطيعين أن تشربي شايك حيثما تريدين •• في الطابق العلوي أو الارضي ، وتنظرين في الثلاجة كي ترى ما فيها ، وتجدين أحيانا أشياء فاحت رائحتها لانها باتت فاسدة • أنت لاتطبخين كثيرا ، ربما تقلين بعض الاشياء • ولكن ليس ثمة مكان لائق نأكل فيه حيث نعيش •

« تنسين أشياء . لاتعدي الطاولة أو ترتيبها ، والملابس الوسخة مدعاة للقلق والانزعاج ، فالفتاة تدخل ، ولكن هؤلاء الفتيات لاينظفن تنظيفاً جيدا ، » وأضاف وقد بدت عليه الكآبة : « ثم ان زوجها يمتلك عربة مقفلة لنقل البضائع ، لذا يمضيان لياليهما يرقصان في النوادي ، ويقامران في لعبة البنغو Bing - O أو في لعبة ذات اسم مماثل • وهي لاتستطيع ترتيب سرير ، وتأتي حين يحلو لها ذلك ، ولا تعرف كيف تنظف السجادة بالفرشاة » •

وعبس أندروز ، ونظر الى الحائط •

وكان الرجل الاصهب في الغرفة المجاورة قد أدار مفتــاح جهاز تسجيله ، فارتمع صوت الموسيقى مخترقاً الجدار كالاعصار ونافذا من ملابس أندروز الى جلده • وكان هذا الصوت يفحُ ويخنّ ويدوّم في أصوات أنفية تبعث على الرثاء الذاتي ومتضمنة أنين الرجل وصرخات الفتيات حين تتطاير تنانيرهن • فرفع أندرور صوته كما لو أنه يأمر الصوت بالتوقف ، وقال مرتبكاً : « ان زوجها يعاملها معاملة فظـة قاسية ، ويضربها ضرباً شديدا ، وقد أرتني كدمات على سفيها وكتفها وقالت : انظر الى هذه الكدمات انها تصبح ، في الليل ، زرقاء وسوداء • قد رأيتها على ساقها العارية من كل شيء • ان هؤلاء الشبان يضحكون ، ولا أدري لِمَ • » •

ورفع صوته ثانية وقال : « عليّ أن أتخلص من تلك الفتاة » • وكان في تلك اللحظة يخاطب ديزي والبلدة والعالم ، وعرته الدهشـة حين رأى لويزا مــرة أخــرى •

فقالت لويزا بهدوء : « يصعب الحصول على فتيات » • ان سارة لم تستطع الاتيان بواحدة » •

ـ « لم يبق لي الا أن أرحل من هناك ، وأبيع البيت ، كنت أقول لسارة ان بلدة كهذه سوف تلائمني • ففيها نسائم من البحر • »

ردت عليه بصوتها ، صوت كاتب الحسابات . « البيوت غالية هنا ، والأفضل أن تبقى حيث أنت ، انك ستضيع أطفالك • »

ـ « لقد بنوا حياتهم الخاصة » • ثم أوضح مهمته اليها : « ثمة شيء تعلمته ، وهو أن المرء لا يستطيع العيش في الماضي » •

كانا واقفين ، ولكنها قعدت الآن على الكرسي قرب الصاولة بينما ذهب هو الى الكرسي ذي الذراعين • ففكّت أزرار معطفها الثقيل كما لو أنها تريد اظهار المرأة التي في داخله ، ولكنها ظلت ممسكة بحقيبة يدها التي وضعتها على الطاولة • وتوقعت الموسيقى التي كانت تخنق الجو ، غير أنها تحولت الى مقاطع « حازوقة » طويلة ذات قرعات طبلية واحدة رتيبة ، وأشبه هذا الصوت صوت عجلات قطار صاعد صباحاً حين تبدو الاشجار فاتنة في الحقول ، وتخيلها ، كما كانت قبل الخصام ، صديقة أكثر حساسية من ديزي المسكينة •



كان قد أطلّ ، مرة واحدة ، من نافذة القطار ليلقي في الوقت المناسب تماماً نظرة على المصب العريض للنهر حيث شدّت القوارب الراسية • وفي تلك النظرة الخاطفة للبحر رآه وقد فَقَدَ مظهر جيشانه وحزنه على الاموات المكدسة في أعماقه وأخذ يتموّج كالعلم ، وصدمه حين غادر المحطة وصعد في شارع التسوّق أن هذا الشارع كان مليئاً برجال ونساء التفت سيقانهم وأذرعتهم مع بعضها طوال الليل في الأسرّة • ومرّت به عشرات النساء ، نساء لم يعرفهن قط ، ولكن ربما يصفعن وجه المرء اذا استوقفهن وأوضح حالته •

ومع ذلك ، كن يبدين ، وهن يسرعن ، كما لو أنهن يسألن المرء لم لم يفعل ذلك. فماذا تستطيع أن تقول ؟ وكيف تبدأ ؟ عليك أن تتعرّف عليهن ، ولكن ما يبعث على الضيق أنه ، طوال حياته ، لم يجد متسعاً من الوقت لمثل هذه الأشياء . فالمرأة الوحيدة التي عرفها هي لويزا . لقد عرفته وعرفها ، وبطريقة مضحكة عجيبة أمضيا في المكتب معاً سنوات من الاقتران .

وفي الغرفة كان أندروز يتسارع مع صوت الطبل الذي استمر واستمر، بل لقد أخذ ينقر على قدمه . وبدت لويزا قرب الطاولة بعيدة بضع سنوات عنه ، وكانت جموع النساء في الشوارع والدكاكين جدّ قريبة وجدّ مفجئة ، ولكن البعد عن لويزا جعله يتوقف عن النقر . فوضع ساقاً فوق أخرى ، وأحسّ بسكون رغبة طبل لم يحسّ به قط من قبل ، رغبة في مكان رخيص كهذا .

قال بصوت عالٍ غير طبيعي مردداً ما قاله قبيل هنيهة : « تبدو سارة في صحة جيدة » ، وهذا الحكم كان غير صحيح ، « لقد قالت ليس ثمة أماكن خالية » .

ردت لويزا : « شكراً لك ، انها كذلك » .

ـ « لا بد أن عليك أشياء كثيرة يجب القيام بها وأنتما تديران هذا المكان ، لقد قالت ان الاماكن جميعها مليئة » .

فقالت لويزا وهي تضحك ضحكة خفيفة : « أعتقد أنه مشغولة ،

فكل مكان في البلدة يصبح مليئاً في أثناء العطل ، أنت تعلم أنني لا أعيش هنا »

★ ★ ★

ـ « كنت أظن أنك تقيمين هنا » • نطق ندروز بهذه العبارة وهو يتحسس جيبه بحثاً عن رسالتها •

ـ « لا ، فأنا أقيم في الفندق ، انه أكثر راحة ، فقد بعنا البيت القديم في لندن حين توفيت والدتنا » •

انتقلت الى الفندق !! يا الله ، انها تعدو الآن وقد تركت البعد عنه وأخذت تقترب منه • فهو ، بوصفه سائحاً ، أمضى وقتاً طويلا في حياته ينزل الفنادق ، وأحب بالطبع تلك المساحات الواسعة من السجاجيد المفروشة في الفنادق الفخمة ، فهذه الفنادق قصور للسرور والمتعة والمال • وحين يلمس المرء نجادة طنافسها تبعث فيه أحاسيس شهوانية • وحتى في فندق صغير ، في بلدة كهذه ، يتبدى الضيوف ونـدل المطعم والخدم والكتبة ، مثل أشخاص في حلم وهم ينتقلون صامتين من غرفة الى أخرى • وحين يرن جرس الهاتف يسمعون أصواتا من عالم آخر • ان المرء يصبح ، في حد ذاته ، حلما •

قال مظهراً اعجابه بجدارتها : « كنت أوشك أن أقول ان هذا المكان لا يبدو لائقاً بك • » ثم لوح باستخفاف يده مشيرا نحو الأثاث •

صاح للمرة الثالثة كي يعلو صوته على الموسيقى « لقد فعلت ما كان يجب عليّ أنا نفسي أن أفعله • هل تنزلين في فندق جورج ؟ » وأضاف متحدياً « لا تخبريني أنك تنزلين في ذلك الفندق • لقد تناولت غذائي فيه هذا اليوم ،انه فندق مريح جداً وفيه سمك شهي • ولكنني لم أرك هناك » •

استوى في قعدته ، وأنزل احدى ساقيه عن الاخرى ، وأحس انه قد أصبح أعجوبة •

قالت ، وقد ابتسمت له ابتسامة هازئة ، هي ابتسامتها الحقيقية الاولى : « لا ، انني أنزل في أعلى التل قرب الكنيسة بفندق كلارنس• هو أهدأ وأفضل » •

وبجشع شديد قال : « هل يطل على البحر ؟ » •

ـ « بالطبع ، كل غرفه ، وله حديقة جميلة » •

كان من مبادئه الاخرى في الحياة الا يخسر ، فسحب من جيبه قائمة بأسماء الفنادق المحلية •

ـ « نعم ! ها هو ذا ، فندق كلارنس ، ٣٧ غرفة ، تطل جميعها عـلى البحر » •

فقالت له : « أجر الغرفة بحمام ٤٥ جنيها استرلينيا في اليوم ، وهذا لا يشمل الخدمة وقيمة الضريبة المضافة ، والمحاسبة أسبوعياً »•

ـ « هذا حسن » ، وأضاف مهنئاً اياها : « فندق ثمين » .

قالت له : « ليس بالنسبة لما حصلتَ أنت عليه » .

كانت أسرة برودر فقيرة شحيحة تعمل بعناية على توفير المال . ولا بد أن لويزا وفرت قدراً كبيراً منه حتى تستطيع النزول في فندق مثل كلارنس .

فقال متشامِخاً : « لِمَ لا نتناول طعام العشاء هناك هذه الليلة؟ دعيني أدعوكِ وأدفع الحساب » .

ـ « لا أستطيع ذلك يا مورتون » .

قال : « ليكن في فندق جورج اذا أردت التغيير . شيء عجيب في هذا الفندق ، فقد حصل أصحابه على سجادة تشبه تلك التي بعتُها حين كنا منذ سنوات في برايتون، واحدة كالتي كنا نبيعها ، زهرة ديميتر ، الشوكولاتة والازهار ، أنت تذكرينها ولا ريب ، وأنا واثق من ذلك ، زهرة الاقحوان في جرة ... » .

وضحك متشوقاً : « سنكون وكأننا في الايام الماضية » .

فعبست لويزا ، وقالت . « مورتون ! انني لا (أســرل) في فندق كلارنس . فأنا لست نزيلة أو ضيفة ، انني أعمل هناك في المكتب . ونحن مشغولون جداً ، وعليّ أن أغادر هذا المكان خلال دقيقة ، وأشرف على وجبات العشاء . فمنذ قليل حجز اثنا عشر ألمانياً غرفاً في الفندق،

وكان مكتب الاستقبال يتحدث هتفياً معي حين كنت تتكلم مع سارة » •

وتلاشت لويزا في عينيه ، وحدّق بها فاغراً فاه :

ـ « تعملين هناك ؟ هل قلت تعملين ؟ » •

لقد سخط عليها لأنه ارتكب خطيئة ، فاستدار الى الشاب في الغرفة الثانية وقال « أتمنّى لو أن سارة تجعل ذلك الغلام يوقف هذه الضجة اللعينة ، فالمرء لايستطيع أن يسمع ما يقال » •

نظرت لويزا عابسة اليه وقالت : « أوه ، ان هذا هو بيتر ، ابن زوجي ، يستعد لامتحاناته فيدير جهاز التسجيل حين يعمل • لقد اعتدت أنا على ذلك ، ولكنه يثير أعصاب والده ، ولذا بعثنا به الى هنا ، الى بيت سارة ، ولكنه يتناول طعامه معنا في الفندق • فحين تدير فندقاً عليك أن (تؤمّن) أمكنة النزلاء أولا » •

ـ « ابن زوجك » •

وبدا كما لو أن هواء الزفير يصفر وهو يخرج من رئتيه ، وعلا صوته كأنه صوت صبي صغير ، وبدت لويزا أمامه وكأنها تتقفز بين أرضية الغرفة وسقفها مثل فيلم أفلت من آلة العرض السينمائي •

فقالت مثل شخص يتحلى بقوة شديدة :

« نعم ! أنا زوجة أبيه » •

وتسمّر أندروز فجأة في كرسيه بين الذراعين الضيقين ، وفد فغر فاه الذي خلا من أية كلمة ، فاه ذلك الثقب الاحمر الاحمق الذي لم يستطع أن يغلقه . وبدا له أن لويزا ليست امرأة واحدة ولكنها جزء من جمع النساء العام الذي رآه في شوارع البلدة ، وهن يلوحن بحقائب اليد بأيديهن ، ويحملن بمشقة أكياس مشترياتهن ، ويسخرن منه بلا مبالاتهن . وفي انذهاله هذا فَقَدَ كل احساس بالزمن كما حدث معه غالباً من حين كان يعيش وحيداً ، وأوشك أن يقول . « ستصاب ديزي بنوبة عاطفية حين أخبرها هذا » . الا أنه استعاد وعيه ، وقال لها : « أنا لا أصدقك » .

ان أرمل منافساً قد سبقه ، ولكن ثمة أيضا اهانة له فهي لم تستشره أولاً بوصفه رب عمل سابق لها .

وأحس أن في رسالتها اليه ، والتي يحملها في جيبه ، نوعاً من فاتورة الحساب . فأخرجها ، ووضع نظارتيه فوق عينيه ، وقرأها ، ثم قال وقد أخذ ينظر من فوق اطار نظارتيه : « أنت لم تقولي هنا انك متزوجة » . لقد كانت الرسالة موقعة باسم أسرتها الاصلية لا باسم أسرة زوجها .

أجابته بشكل رسمي . « لم أكن آنذاك متزوجة . لقد تزوجنا ، السيد فورستر وأنا ، خلال السنة الماضية حين حصل على الطلاق » .

وانتفخت لويزا عجباً وكبرياء حين لفظت كلمة « طلاق » ، فقد

كانت تعلن أنها ليست ممرضة مواسية أو عانس خائبة لا تصلح الا لأرمل واهن ، انها ليست ضحية ، فقد فتنت رجلاً فأقدم على طلاق زوجته • وكان في هذا اشارة تأنيب ، فماذا قدم أندروز اليها ؟ ولكنها عن غير قصد أسقطت الموضوع •

ـ « ان زوجي يدير فندق كلارنس ، ونحن جزء من سلسلة » ، وقد زادت كلمة « سلسلة » من أهميتها ، وأضافت « وهكذا هو فندق (جورج) ، وعندما يمتلىء الفندق بالنزلاء نستطيع أن نرسل بعض الأفراد الى هنا » •

وأبدى أندروز ملاحظة ساخرة باهتة : « تبدون كأنكم تملكون البلــدة » •

لم ترد أن تترك المسألة تمر ، فتظاهرت أنها تأذت ، وقالت : « لا أدري لِمَ تفاجأت كثيرا يا مورتون ، فالواقع أنك قابلت زوجي »•

لقد أصبح في قفص الاتهام ، وبقدر ما يستطيع من البرود قال : « قابلتُه ؟ لا أظن ذلك ، أين ؟ ما اسمه ؟ »

ـ « اسمه مثل اسمي ، لقد أخبرتك ، فورستر ، جاك فورستر »•

★ ★ ★

فتحسس جيبه ثانية ، ثم كَفَّ عن ذلك ، وقال : « انني لا أتذكر أي فورستر » •

فقالت مداعبة : « آه ! يا مورتون ، تذكر ! برايتون ! حزيران سنة ١٩٧٤ ، المعرض التجاري ، وحين حصلت على ذلك العقد الكبير ، عقد سجادة زهرة ديميتر . أنت تذكر ذلك ، انني واثقة » .

لقد كانا هناك ! وفي شدة خصامهما ... من المؤكد انها ، بعد هذه السنوات الطويلة ، لن تثير تلك المسألة .

قال متباهياً : « أنكر انني فزت (بطلبية) تجارية قيمتها عشرة آلاف جنيه » ، بيد انه لم يستطع ابعاد فكرة رواجها .

ومن بين أسنانها قالت . « انني لا أتحدث عن السجاجيد » .

وبدت لناظريه عيناها ، اللتان تجعلهما نظارتاها أكبر من حقيقتهما ، وكأنهما تنبشان في حياة عملهما القديم معاً كما لو كانت كومة من قمامة ، كان فيهما سؤال صيغ بتكاسل من أجل ارضاء بعض الغرور .

لن يكون ، في وضعه الحاضر هذا ، أحمق فيرضيه .

عرف أن التحديق لا يُغتفر ، وأنها ربما تعرض سؤالَها عليه . لقد مسح من ذاكرته كل ذكرياته عن ذلك الوقت المعروف تماماً الذي أمضياه في برايتون ، ولكنه تذكر الآن أن يعود بذاكرته الى الفندق الذي نزلا فيه ، والى الصالون الذي كانت تنتظره فيه ، وتذكر قولها بتحمس · « هل أتيت بها ؟ » ، وأنه قال لها · « دعينا من هذا » .

لقد عبرا الشارع الى المنتزه على شاطىء البحر ، وتذكر الشاطىء الطويل الزاهي الغارق في الأنوار ، حيث الأعلام ترفرف من فوق الفنادق ومن على أعمدة النور ، وكيف أن هذه الانوار أضفت منظر البحـر الهامس • لقد كان الشاطىء مثل خشبة المسرح، وبدت الجموع مهرّجة وهي تنتقل من مصباح الى آخر • أما هي فشبكت ذراعها بذراعه بينما كانا يتحدثان عن نجحه •

كانا ، في أثناء المعارض التجارية ، يتناولان طعام عشائهما عادة في الفندق مع الأناس المهتمين بقضايا التجارة ، وكانت تتركه مع الرجال وتمضي في وقت مبكر الى غرفتها ، ولكنها في هذه الليلة أقنعته أن يحتفلا في مطعم • وقد احتسيا كأساً أو اثنتين من الشمبانيا ، ثم عادا متباطئين الى الفندق ، وهناك سحبت ، باحتراس ، يدها الهزيلة من تحت ذراعه بينما كانا يعبران الردهة الى المصعد ، وفيه تعلقت بذراعه ثانية وعصرتها وهما يصعدان الى طابقهما • وعلى باب غرفتها استبقته ، مرتبكة الى حد ما ، يتكلم ، وكان صوتها يزداد هدوءاً ورقة ، وتظاهرت أصابعها أنها تلتقط نديفة قطن من فوق طية سترتها •

ثم غمغمت وكأنها تأكل ، وفي عينيها نظرة آكلة : « ادخل لبضع لحظـات » •

وعرت أندروز دهشة ، وتذكر أنه ما كان يجب عليه أن يتركها

تحتسي تلك الشمبانيا • فنظر الى ساعته وقال

ـ « يا الهي ! أتدرين ما هو الوقت الآن ؟ انني لما أحابر ديزي بعد كي أنقل لها الانباء ، لقد تأخرت » •

وعندئذ رأى وجهها وقد أدارته ، وبدت عليه مسحة من غضب • ثم أصبح فجأة وجهاً قاسياً خاوي العينين ، مثل قناع من النحاس في ضوء ممر الفندق الاصفر الباهت ، حين قال لها ، بطريقة أبوية ، « ليلة سعيدة » وتركها ومضى الى غرفته في نهاية الممر • وقد فاجأه صفقها القوي للباب ، ولكنه أحس بالسعادة ، فهو لا يستطيع أن يمضي نصف الليل معها يتحدثان عن متاعب أسرة برودر •

وفي اليوم التالي لم يستطع أندروز ، قط ، أن يخبر زوجته ما حدث في المساء التالي ، فديزي ما كانت لتصدقه ، وكانت ستصيح منتصرة انها « قد عرفتها منذ سنوات » • فذلك المساء يضم شطراً كبيراً من تاريخه ، وهو جد ثقيل في ذاكرته متداخل فيها كما لو أنه الحنق بعينه والرغبة المكبوتة التي لم يعرف قط مثيلا لها وأفلح في استبعادها من ذاكرته حتى هذا اليوم • والآن ، عادت دقائق ذلك المساء الى الحياة ثانية بينما هو يكلم لويزا المتزوجة هذه ، وفي هذا المسكن الصغير التعيس على شاطىء البحر •

ففي اليوم التالي « لاحتفالهما » ذاك تأخرت لويزا في الوصول الى جناح مؤسسته في المعرض ، وليس في ذلك ما يثير أية دهشة ، اذ

كانت تشكو من الصداع • طلب منها أن تذهب الى الفندق وتنام ، وكان هو نفسه منهمكاً جداً بتفاصيل مبيعاته ، فلم يذهب الى غرفته في الفندق الا" في حوالي السابعة مساء • وحين وصل اليها كان جرس الهاتف يرن ، كانت سارة • ان أسرة برودر ثائرة جداً أين لويزا ؟ وأضافت انهاكانت تتصل طوال اليوم ، فوالدتهما مريضة جداً ثانية، هي تحتضر بالطبع • وكانت السيدة برودر العجوز تَحتضَرُ في كل مكالمة هاتفية أجرتها سارة منذ سنوات • ان على لويزا أن تعود فوراً الى البيت •

وكي يجعل سارة تختصر كلامها قال : « انني واثق أن لويزا في غرفتها • سأذهب وأرى » •

ومضى الى غرفة لويزا ، وقرع الباب عدة مرات، فقد كان يسمع أصواتاً في الداخل • وسمع صوت رجل يقول :

ـ « يا للجحيم ! من هذا ؟ قولي له أن يذهب ؟ • وفتحت لويزا الباب ، وهي ترتدي عباءة صفراء فاقعة ، وقالت لرجل أصهب الشعر خرج من الحمام : « انه المستر أندروز » •

فقال الاصهب : « قولي له أن ينصرف ويهتم بشؤونه » •

كان الرجل يحمل بيده ربطة عنق، حافياً• وبدا أندروز أنه لا يصدق ما رأت عيناه ، حتى أنه بشق النفس عرف لويزا أو تذكر اذا كان

قد قال شيئا لها • ولكنه هنأ نفسه لأنه تذكر الكلمات نفسها التي قالها للرجل :

ـ « انني أكلم سكرتيرتي ، فأمها مريضة جداً » •

وكان جواب لويز : « انني سأتصل بسارة فيما بعد ، فهي دائماً تتفقدني » •

وصفقت الباب بوجهه •

وظل لا يصدّق ما رأى ، فمضى الى غرفته ، واتصل بسارة وبطريقة مشوّشة قال لها أولا ان لويزا نائمة ، ثم انها مع أصدقاء • ولكن سارة قالت له :

ـ « انك تكذب ، فهي معك واستطيع ان أسمعها ، هل تظن انني لا أعرف ما يجري بينكما » •

لقد عاني أندروز من أسرة برودر ما فيه الكفاية ، فثار ، وقال لها :

ـ « اذا أردت أن تعرفي فلا بأس ، لقد التقطت شخصا ما من المقصف » •

واذهلته سارة بضحكها ، وقالت : « ان هذا سيوقفك عن مغازلتها ، أليس كذلك ؟ » •

والآن ، وفي بيت سارة ، والعجوزان من أسرة برودر ينظران اليه من صورتيهما الموضوعة فوق رف الموقد ، رأى لويزا وهي تنتظره أن يتكلم • وحين لم يفعل قالت له :

ـ « قلتُ لسارة انك قد قابلته » ، وهذا لم يكن عملا لطيفاً منك يا مورتون ٠ انه زوجي الآن ، وهكذا ترى أن من الحرج أن أتناول طعام العشاء معك ٠ والواقع أنني لا أظن أن هذه البلدة تناسبك ، أليس كذلك ٠

« والآن عليَّ أن أذهب ، وعليك أنتَ أن تلحق بالقطار ٠ ستنقلني سارة الى فندق كلارنس ، وستوصلك الى المحطة ٠ أهناك شيء آخر تريد أن تسألني عنه »٠

ـ « لا شيء » ٠

وتحرك مقبض الباب ، وحزر أن سارة كانت تتنصت عليهما من وراء الباب ، لانها دخلت الغرفة وقالت : « والآن يا لويزا ، لقد اتصل زوجك ثانية » ٠

وفي السيارة قالت لويزا لسارة : « أخبري بيتر أن يرتدي ربطة عنق اذا كان سيأتي لتناول طعام العشاء » ٠

ولم يقل أحد شيئاً آخر ٠

ورأى أندروز ، بالطبع ، فندق كلارنس ، ولكن لا شيء غيره ٠ وهمرت عجلات القطار مثل صوت سارة بينما كان عائداً الى لندن ٠ وحين مرَّ بمصب النهر في الفسق رأى القوارب وهي لا ترفع أي علم أو راية ٠

★ ★ ★

ايـني وَديـدون

الياس سَعد غالي

ايني (اينياس أو ايياس) هو بطل ملحمة الانياذة(١) التي كتبها نثراً عام ٢٩ ق.م . ثم نظمها شعرا في اثني عشر نشيدا أو كتابا أعظم شعراء الرومان فرجيل الذي توفي عام ١٩ ق.م. وايني بحسب الاسطورة ابن انخيس (انشيز)، نسيب ملك طروادة، وربة الجمال أفروديت التي هي من أعظم ربات الاغريق وتدعى عند الرومان فينوس وعند العرب الزّهرة .

لقد اقترن الانسان الفاني انخيس بالربة الخالدة افروديت فرَزقا ايني . وقد كان الاعتقاد السائد عند الرومان وعند الاغريق بأن الإنس والآلهة يتزاوجون « اذ أن آلهة الاغريق خليط من معبودات من تقدمهم من الملل كالبابليين والآشوريين والمصريين والهنود ، لكنهم أهملوا عبادة الحيوان والجماد وجعلوا للصفات والموصوفات أجساماً حيّة مدركة هيأوها بهيئة البشر ومسحوها بمسحة اللاهوت ولم ينزّهوها عن شيء من شوائب البشرية ففيهم الجشع والطمع والكذب والمخاتلة

والغدر والغضب والحقد ومع ذلك فهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر يثيبون ويعاقبون ويراقبون الخلق كآلهة سائر الاجيال غير أن في صفاتهم تناقضاً ، فهم : إنس كسائر الإنس بالنفس والجسد ولا مميز لهم الا القدرة والخلود ، لهم طعامهم وشرابهم ومجالس انس وطرب وملاه ومنازل وقصور وفرش وثيرة ومركبات وجياد ، يجالسون البشر الى ولائمهم ويتناكحون ويتناسلون يستولدون الإنسيات ويزوّجون بناتهم من الانس فيستولدونهنّ وفي كلتا الحالتين ينشأ المولود بشرا كسائر الناس (ولو كانوا أبطالا أو أنصاف آلهة)(٢) ، وللاناث منهم ولع كولع الانسيات بالتبرّج والزينة ولهن حلي وطيب يدللن على أزواجهن ويستوينهم ويخاصمنهم · ولكل إله وإلهة مزية خاصة وولاية لا يمكن تعدّيها اذ أنهم كالبشر درجات بعضها فوق بعض ويد زفس فوق أيديهم جميعا فهو الحاكم المطلق » (٢) ·

ونجد في سفر التكوين أن حدث أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا ·· وبعد أن دخل بنو الله على بنات الناس ولدن لهم أولاداً ، هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم(٣) · ولقد كان لهذا الكلام تأثير دون شك في ما قاله اخنوخ الجد السابع بعد آدم في الكتب المنسوب اليه طبعا والذي يعود تاريخ وضعه على الارجح وعلى أبعد حد الى تاريخ متأخر ، القرن الثالث قبل الميلاد : عندما تكاثر أبناء البشر ولدت لهم بنات جميلات رشيقات وعندما رآهن الملائكة أبناء السماء عشقوهنّ وقال بعضهم

لبعض لنختر لأنفسنا نساء من البشر وليكن لنا منهن أولاد ، فاختار كل واحد من الملائكة المئتين المتآمرين امرأة ، وساكنوا نساءهم فولدن لهم أولاداً جبابرة طول الواحد منهم ثلاثمائة ذراع(٤) • ولسنا ندري ماذا كان يدور في خلد اللاهوتيين البيزانطيين الملتئمين في القسطنطينية عندما أخذوا يبحثون ويناقشون في جنس الملائكة أذكور هم أم إناث و « هيلبس ـ التركي ـ على الابواب » ؟!

أكان لما جاء في سفر التكوين المشار اليه اثر في الاساطير اليونانية أم ان تلك الاساطير وأمثالها عند بقية الأمم هي التي أثرت في التوراة وفي كتاب اخنوخ مما كان له صدى بل أصداء عند العرب ، اذ لا بد من أن يكون تسرّب اليهم أيضا شيء من معتقدات تلك الامم العابرة قبل الاسلام فاعتبروا تلك الآلهة جنًّا وأبالسة وشياطين حتى صار يجري عندهم بحسب قصصهم مثل ما كان يجري عند غيرهم من الشعوب ولا سيما الاغريق ، وقد أشار القرآن الكريم الى معتقد أولئك العرب الذين كانوا يعتقدون أن الملائكة « بنات الله »(٥)، وابن تيمية مثلا يعرب عن اعتقاده بأن الانس والجن يتناكحون فيولد بينهما وان هذا كثير ومعروف ، وان هناك من يدعون أنهم حضروا عرساً بين الانس والجن • والشيخ محي الدين بن عربي يقول : ان بلقيس متولدة من الجن والانس • أمها من الانس وأبوها من الجن ولو كان أبوها من الانس وأمها من الجن لكانت ولادتها عندهم وكانت تغلب عليهـا الروحانية ولهذا ظهرت بلقيس عندنا(٦) •

اذن تروى الاسطورة أن ايني ولدته أمه الربة افروديت على جبل ايدا وروى هوميروس في الياذته أن اخيل ابن الربة ثيتيس ، أشهر أبطال اليونان في حرب طروادة أثار غضب ايسي باعتداءاته المتكررة على قطعانه فقرر ايني نجدة بريام المحاصر في طروادة ، وتصرف بشجاعة ونازل أبطال الاغريق ، وما نجا من سهام اخيل الا بأعجوبة ٠

وهو ما غادر طروادة بعد سقوطها بل جمع شمل من بقي من رجالها في قيد الحياة واسس مملكة جديدة على أنقاض مملكة بريام ٠ غير أن الروايات الرومانية تروي غير ذلك ٠ فالاديب الشاعر الروماني الكبير فارون (١١٦ - ٢٧ ق٠م٠) الذي روى عن الأسر الرومانية وطريقة حياتها اشياء كثيرة قرر أن أصل الشعب الروماني طروادي ٠ لقد كان فرون شديد الايمان بأجداده فأبرز ما تميزت به روما وما انفردت به كوضع النظم ورفع المستوى الاخلاقي وتنشيط اللغة والأدب واقامة العدل ٠ لقد نظم فرون نحو ١٥٠ قصيدة عالج فيها مواضيع سياسية واخلاقية مبسطاً قضايا فلسفية عديدة ، وترك معلومات قيمة عن روما القديمة ودون العادات وثبت الطقوس الدينية وشرحها مبرراً اياها بكل ما وجده في لعلم والفلسفة اليونانية الرومانية (٧) كما روى الشاعر اللاتيني الشهير اينيوس (٢٣٩ - ١٦٩ ق٠م٠) المعتز كثيراً ببلده وأجداده كل قصة روما من ايني حتى حرب ايتوليا ، وان كانت كتاباته ترجمات أو اقتباسات من المسرحيات اليونانية ، وقد قلد الياذة هوميروس في مؤلف من ١٨ كتابا لم يصلنا منه سوى ٦٠٠

بيت ·وكتب كاتون (٢٣٤ ـ ١٤٩ ق·م·) تاريخا لروما وأصلها ، وكاتون كان يعتبر ايطاليا كلها وطنا واحدا وجاء فرجيل بعد هؤلاء فتلقّف تلك الروايات والمعلومات بالاضافة الى ما اقتبسه من هوميروس كفكرة الهبوط الى الجحيم ووصف ترس ايني الذي زيّنه بأهم" حوادث التاريخ الروماني، وثبّتها في ملحمته الانياذة بأسلوبه الرائع ومقدرته الشعرية الفائقة، وجاءت ملحمة فرجيل تمجيدا للتقوى المرتبطة ارتباطا وثيقا بالوطنية وتعظيماً للفضيلة التي هي عنده معرفة تاريخ روما وعبادة الماضي(٧) ·

لقد روى فرجيل في انياذته أن ايني ، بناء على أمر والدته ربة الجمال افروديت غادر مدينة طروادة والنار تلتهما كأنها روما نـيرون كما وصفها مطران (٨) أو عمورية المعتصم كما وصفها أبو تمام :

غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى
يشـلـه وسـطها صـبح من اللهب

ضــوء من النــار والظلمـاء عاكفـة
وظلمـة من دخـان في ضحى شحب

وتاه ايني في عرض البحار وطولها مدة سبع سنين بحثاً عن الوطن الجديد الذي منّته الآلهة به · وفي هذه الرحلة ما ان غادر ساحل صقلية حتى أثارت عاصفة هوجاء في وجهه الربة الشرسة هيرا(٩) التي كانت

تكره الشعب الطروادي كله وتنقم عليه لأن باريس ابن ملك طروادة كان حكم بأن افروديت أجمل منها ومن أثينا • ولما بلغها أنه تنبّىء لايني بأن ذريته ستكون شعبا عظيما وانه سيدمر قرطاجة مدينة هيرا المفضلة أثارت تلك العاصفة العاتية انتقاما لنفسها ومحاولة منها لابطال مشروعه • وقذفت العاصفة بسفن ابن انخيس ورفاقه الى ساحل ليبيا • وغضبت افروديت لحقد هيرا المستمر ورأت أن تصمد في وجه هذه الآلهة العاتية فأرشدت ابنها أن يتوجّه الى قرطاجة التي كانت تؤسسها ديدون بنت ملك صور الفينيقية ، التي هربت خفية مع بعض رجالها الأمناء من صور خوفاً من جور بيكماليون شقيقها الذي قتل زوجها، فجاءت الى افريقيا وبنت مدينة قرطاجة التي سرعان ما ازدهرت، وبالنظر الى جمال ديدون وغناها رغب ملك مجاور يدعى هيارباس أو « جارباس » في الاقتران بها وحبّذ هذا الزواج رجال ديدون فتظاهرت بالقبول، هي التي ارادت أن تبقى حتى الممات أمينة لزوجها سيشه أو « اسرباس »، لكنها أمرت يوم زفافها باقامة محرقة في الساحة العامة ولما اشتعلت النار في المحرقة ألقت ديدون بنفسها وسط اللهيب فاحترقت، ومنذ ذلك اليوم أخذ شعبها يكرمها كما تكـرم الآلهة • وقد استفاد فرجيل من هذه القصة في انياذته وجعل ديدون تموت لا لتبقى أمينة وفية لزوجها بل لسبب آخر •

وفي اليوم التالي من وصول ايني ورفقه بسفنهم الى الشاطىء الافريقي توغـّل ايني في البر هو ورفيقه الامين اخاتيس مستطلعا •

وفي الطريق اعترضته أمه أفروديت وأخبرته بما قدّره رب الأرباب جوبتير لروما من مصير عظيم رائع وانها أرسلت إله الحب كيوبيد الى ديدون ملكة قرطاجة ليحملها على حب ايني • وسار ايني ورفيقه سيرا حثيثاً حتى وصلا قرطاجة فأعجبا بها وشاهدا رسوم بعض حوادث طروادة الهامة في حربها ضد الاغريق منقوشة على جدران هيكل فخم كان يجري بناؤه،كما هي منقوشة اليوم، مع بعض الاساطير اليونانية، أجمل نقش او مرسومة أروع رسم في متاحف من أعظم متاحف الدنيا ان لم تكن أعظمها ، كفونتنبلو وفرساي ولا سيما اللوفر في باريس • وقد جاءت ديدون صدفة في تلك الساعة لتتفقد الاعمال الجارية في الهيكل • وفي ذلك الحين وصل أيضا بعض رجال ايني يطلبون حماية الملكة ، ولما التفوا بها شرحوا لها ما أصابهم وقالوا : ملكنا ايني ، أعدل الناس واتقاهم وأشجعهم • لن تندمي اذا أحسنت اليه الى أن يتاح لنا اصلاح سفننا فنغادر هذه الديار الى ايطاليا فرحين •

وأجابتهم الملكة ديدون : أقصوا الخوف عن قلوبكم وهدّئوا روعكم •• فمن لا يعرف شعب ايني ومن يجهل مدينة طروادة وأمجادها وأبطالها ؟ ! سأمدّ اليكم يد المساعدة على الرحيل أو البقاء في مملكتي اذا شئتم • فمدينتي مدينتكم، وسأعامل أبناء صور وأبناء طروادة على قدم المساواة وأرجو أن يدفع البحر بملككم ايني الى هنا ••

عندئذ انقشعت الغيمة التي كانت تحجب ايني ورفيقه بأمر

افروديت عن أعين الجميع فظهر وكأنه إله، وقد حمّلته أمه بألف زينة فخاطب الملكة أمام الجمهور الذي أذهله هذا الظهور المفاجىء ، قائلا . ها أنا ذا اينى الطروادي ·· لقد نجوت من مياه اليمّ وأنت الوحيدة التي أشفقت على بؤس الطرواديين الذي لا يوصف، لقد فتحت مدينتك وقصرك لمن نجا من غضبة اليونانيين وقد أنهكهم ما قاسوا في البرّ وفي البحر ، وقد جرّدوا من كل شيء في هذه الدنيا ، فليس في وسعنا أيتها الملكة ديدون أن نعترف بأفضالك علينا كما ينبغي ، فالآلهة ·· تكافىء التقوى ، واذا كان للعدل وحبّ الخير قيمة فلتهبك هي المكافآت التي تستحقينها ·

ودعت ديدون الطرواديين قائلة تعالوا أيها المحاربون الشباب وادخلوا منازلنا ·· فأنا عرفت الشقاء وتعلمت أن أغيث البائسين · ولم تنس الملكة أن تبعث الى رفاق اينى الذين عند الشاطىء بعشرين ثوراً ومائة خنزير ومائة حمل مع أمهاتها ·

وأرسل اينى الى أولئك الرفاق رسولا ليطمئنهم وليرسلوا اليه بعض الهدايا مما بقي لهم من طروادة · وجاءت الهدايا فقدم اينى للملكة ثوبا مزينا بالرسوم الموشاة بالذهب ووشاحا بلون الزعفران وهو الوشاح الذي كانت أهدته ليدا الى ابنتها هيلانة التي سبّبت حرب طروادة ، وصولجاناً كانت حملته بنت الملك بريام الكبرى وعقدها وتاجها الذهبي المرصع بالاحجار الكريمة ·

ودعت ديدون ايني الى تناول الطعام على مائدتها وجلست عند منتصف المائدة على سرير من ذهب مجلـّل بنسيج من البروكار، وجلس يني ورفاقه على أسرّة ارجوانية ، وكان الخدم يسكبون الماء على أيديهم ويقدمون اليهم الخبز ٠٠ وكان في الداخل خمسون امرأة يهيئن الأطعمة ويحرقن البخور عند أقدام تماثيل الآلهة ، ومائة امرأة أخرى ومثلها من الخدم من نفس السن" يضعن على الموائد المآكل وكؤوس الشراب ٠

وفور الانتهاء من الطعام رُفعت الاطباق وأتي بالخمر وارتفعت ضجّة كبيرة وعلت أصوات المدعوين في القصر ذي السقوف المذهبة التي تتدلى منها ثريات متلألئة الانوار وقد تغلّب ضوء المشاعل المتقدة على ظلمة الليل ٠ عندئذ طلبت الملكة أن تملأ الكأس الكبيرة الذهبية المرصعة بالجواهر التي اعتاد الآباء والأجداد أن يملؤوها ٠ ولما ترعت الكأس ابتهلت ديدون قائلة : أيها الإله جوبتير اجعل هذه الليلة ميمونة للصوريين والمحاربين الآتين من طروادة حتى يحتفظ أحفادنا بذكراها ، وليكن في عوننا الإله باخوس مبدع البهجة والالهة هيرا العطوف ٠٠ وأنتم أيها الصوريون ارعوا الاحتفال بهذه الوليمة ٠ قالت ديدون هذا وسكبت على المائدة بواكير الشراب ثم أدنت الكأس من شفتيها حتى مسّتهما الخمرة وأعطت الكأس الى بيسياس وحرّضته على الشراب فأفرغ الكأس الذهبية جرعات طويلة في طرفة عين ، وبعد ذلك جاء دور المدعوين وأخذ ايوباس يعيد على أنغام قيثارته

الذهبية الاناشيد التي علمه اياها العملاق أطلس فتغنى بالقمر الشارد وكسوف الشمس وأصل الجنس البشري والحيوانات وسبب الامطار ونار الأثير والنجوم وطفق الصوريون يصفقون ومثهم فعل الطرواديون.

وأخذت ديدون تطرح على اينى ألف سؤال بشأن بريام وهكطور وحرب طروادة وابلائه فيها فقص على الملكة الذاهلة حوادث الليلة المشؤومة وكيف سقطت طروادة العظيمة وكيف تظاهر اليونان بالانسحاب تاركين في ميدان القتال حصاناً خشبياً ضخماً صنعوه بناء على نصيحة كالخاس الذي كان من أشهر منجميهم ، وقد ملأوا جوف الحصان بالرجال البواسل المدججين بالسلاح. وتوارى أسطول اليونانيين وما بقي شيء يتحرك على الشاطىء وحول طروادة. فتعجب الطرواديون ثم تجرأوا على الخروج الى السهل ودخلوا الاماكن التي كان العدو نازلا فيها وشاهدوا ساحات القتال حتى اقتربوا من الحصان العجيب وأخذوا ينظرون اليه ويتلمسونه بفضول وحذر واذ نبق لهم فجأة رجل يوناني يدعى سينون وأخذ يستعطفهم ليقبلوه مدعياً أن قومه الاغريق كانوا يريدون أن يضحوا به ليؤمنوا لأنفسهم عودة ميمونة . وسألوه عن أمر هذا الحصان الضخم العجيب الذي أقاموه عند السور فأكد لهم أن قومه كانوا ينوون تقديمه قربانا للإله منيرفا لتهدئة غضبها على اليونانيين لأن أوليس وديوميد سرقا تمثالها ، وانهم ما ضخموا تقدمتهم التكفيرية أي هذا الحصان الا لأنهم يعرفون جيداً أن الحصان اذا أدخل الى مدينة طروادة سيكون حرزا حديدا للطرواديين . فصدق

الطرواديون السذّج قول هذا الاغريقي واستعدوا لادخال الحصان الخشبي الضخم الى مدينتهم • وعبثاً حاول رئيس كهنة ابولون لاوكون ابن بريام أن يثنيهم عن عزمهم حتى خرجت من البحر حيّتان كبيرتان بوحي من الآلهة فخنقتا لاوكون وولديه وهو يقدّم الذبيحة على المذبح• وعندئذ هدم الطراوديون قسما من السور وجروا الحصان الى الداخل وقامت البهجة في المدينة كلها •

وفي الليل شاهد سينون اشارة النار المتفق عليها نسطع من جهة البحر فأخرج الرجال المحتبسين داخل الحصان فتدلوا منه بواسطة حبال ودون ضجة وتسللوا الى الشوارع بقيادة اوليس وما لبث الاغريق أن هاجموا طروادة من الداخل ومن الخارج وسرعان ما أصبحت عرضة لجميع أنواع السلب والنهب والقتل والحريق حتى دمرّت تدميرا ، وقتل بيروس بن أخيل الملك بريام وهو على مذبح جوبتير حتى كأن غضب الآلهة نصب على طروادة وأهلها دفعة واحدة • وظهرت لايني روح هكطور بطل طروادة وأمره بان يهرب مستصحباآلهة المسكن التي يجب انقاذها مهما كلف الامر • وقد كان بودّ ايني البطل البقاء في طروادة لينتقم من الاغريق لكن أمه افروديت تدخلت بدورها واصرّت عليه بأن يرحل فحمل على كتفيه القويتين أباه العجوز انخيس وعلى ذراعيه تماثيل الهة طروادة وأمسك بيده ابنه الصغير وخرجت زوجته كريوز تجر وراءه على اثره ذيل مرط مرحّل أو غير مرحل ، وشقّ ايني طريقه خلال الدمار والنار والانقاض، وبعد قليل افتقد كريوز فلم

يجدها لأنها ضلّت عنه للفوضى في الشوارع وكثافة الظلام والدخان فعاد على أعقابه يبحث عنها فظهر لعينيه طيفها أي روحها التي فارقت جسدها فأخذته الدهشة حتى وقف شعر رأسه وظل صامتاً مبهوتاً. فقالت له روح كريوز: لماذا تستسلم الى ألم جنوني أيها الزوج الرقيق. ان هذه الامور ما كانت لتحدث لولا ارادة الآلهة ، فالجالس في أعالي الأولمب لا يريد أن تصطحب زوجتك كريوز فدعني وأهرب لأن مصيرا أفضل ينتظرك عند ضفاف التيبر حيث الآلهة تحتفظ لك بزوجة بنت ملك ثم تركته وغابت وهي تبكي . وتمكّن اينى من جمع عدد من رجاله وبنى أسطولا من عشرين سفينة وغادر أرض الوطن حتى جاء الى تراقيا فجزيرة كريد فصقلية وهناك توفي أبوه ودفن ، وبعد أيام ركب البحر وهبت العاصفة الهوجاء التي قذفت بأسطوله الى شواطىء افريقيا .

وفيما كان اينى يتحدث الى ديدون غرق نظرها في عيني ضيفها وهي تصغي اليه وتداعب شعر ابنه الصغير اسكاني الجالس على ركبتيها وما علمت أن أفروديت بدّلت اسكاني بإله الحب كيوبيد .

واسترسل فرجيل في سرد قصة ميل ديدون الى اينى حتى سهّدها الحب" وكيف أفضت الى شقيقتها انّا برغبتها في الزواج به مع أنها أقسمت على ألا تتزوج أحدا بعد وفاة زوجها سيشه وعلى أن تظل" امينة وفية له بعد موته. ولما كانت قصة ديدون هذه غريبة في موضوعها عما روى عن الاقدمين من أحاديث الفجور وخيانة الزوجات لأزواجهن

وقريبة الشبه بقصة اندروماخ وأمانتها لزوجها هكطور ننقلها هنا كلها لطرافتها •

قالت ديدون لشقيقتها أنـّا :

أنـّا شقتي ، أيّ رؤى ترعبني وتجعلني في تردد وحيرة من أمري – بين وفائها بقسمها أن تبقى أمينة لزوجها الذي قتله اخوها وبين حبها الجديد لايني – وأيّ ضيف غريب هذا الذي حلّ في منازلنا ؟! فيا للنبل الذي في وجهه ! ويا لشجاعته وبطولاته ! انه سليل الآلهة دون شك ، وما هذا بوهم باطل في اعتقادي ! •• الخوف يكشف عن الأنفس المنحطة ! يا للأسف ! لو لم أكن محتفظة في أعماق قلبي بارادة حازمة لا تتزعزع منذ حبي الاول بأن لا أربط برباط الزواج بغير زوجي الذي مات وتركني خائبة • لو لم أكن عائفة غرفة رفافي لربما ارتكبت غلطتي الوحيدة•أعترف لك يا أختاه أنـّا بأنه الرجل الوحيد الذي زعزع ارادتي فتراخت عزيمتي منذ مصرع زوجي الذي قتله أخي (١٠) • لقد تعرّفت الـى ملامح حبي القديـم • فلتنشقّ الارض تحـت قدمـي وتبتلعني أو ليرمني الرب الكليّ القدرة جوبتير بصاعقة من صواعقه تودي بي الى مقرّ الأموات في عالم الظلمة قبل أن أخالف قوانينك يا إلهة العفة(١١) • لقد ذهب بحبي أول من ربطني بمصيره فليحتفظ به معه في قبره • قالت ذلك وذرفت الدموع من عينيها غزيرة حتى بللت صـدرهـا •

فأجابتها آنّا : أتريدين اذن يا أغلى من الحياة على شقيقتك أن نقضي صباك في الوحدة والسأم ؟ فلا تذوقين مسرّة البنين ولا لذات فينوس ؟ أو تظنين أن الموتى في قبورهم يهتمون بهذا لوفاء ؟ أوافق على أن وطأة حزنك ما خففها عنك رجل من ليبيا ولا أحد من الذين جاؤوا قبلا من صور ، وانك رددت زعماء كبارا ولكن أتريدين حقا مقاومة حبّ يرضيك ؟ ألا تفكرين في البلد الذي حللته وحولك المدن والقبائل تناصبك العداء فضلا عن تهديدات شقيقك في صور . أعتقد أن الآلهة هي التي جعلت الرياح تقذف بسفن الطرواديين الى هنا. فأيّ مدينة وأيّ امبراطورية ستنشأ يا أختي نتيجة لزواجك بهذا الطروادي وأيّ شان سيكون شأنها ؟! .. اطلبي بركة الآلهة فاذا تقبّلت منك الضحايا جودي في قراك (ضيافتك) واختلقي أسبابا لاعاقة رحيل ضيوفك الطرواديين حتى يحطم البحر والعواصف سفنهم.

ومنذ ذلك الحين أخذت ديدون تقدم الذبائح للالهة وأخذت في التقرّب من أينى. وخرجت ديدون ذات يوم مع أيني وبصحبتهما عدد من الفتيان وحاشية كبيرة للصيد في الاحراج ولما توغلوا في الجبال هبت عاصفة رعدية رافقها سقوط برد غزير فتشتّت الرجال والتجأوا الى كهوف تقيهم ولجأت ديدون وايني الى مغارة وهناك جرى اقترانهما كما قالت ديدون .

وأقم ايني في قصر ديدون ، مثل أوليس عند كاليبسو ، فترة من

الزمن ناسياً مهمته الكبرى فأرسل جوبتير اليه رسوله مركور يذكره بها ويأمره بالرحيل فوراً قائلا له : أنت الآن عبد لامرأة تشيد لها مدينة قرطاجة وتنسى مملكتك ومستقبلك ٠ انك لست البطل الذي منّتنا به أمك الرائعة الجمال وليس من أجل هذا انقذتك مرتين من سلاح اليونانيين ، فعليك أن تملك على ايطاليا وتخضع العالم لقوانينها وتستمر فيها سلالة توسر النبيل ٠ فماذا تنوي أن تفعل واي امل يقعدك بين قوم من الاعداء ؟ ان رب الارباب نفسه الذي بمقدرته يدير السماء والارض ارسلني لأحمل اليك أوامره ٠ فأذعن ايني واخذ في التأهب للرحيل سراً ٠

وأدركت ديدون ما ذا يدبر ايني في الخفاء فغضبت غضبا شديدا لهذا الفراق ولما التقت به اندفعت تعاقبه أعنف عتاب لتثنيه عن عزمه فقالت له : أكنت تأمل أيها الخائن اخفاء جريمة كهذه فتغادر أرضي دون أن تقول كلمة ! ما هذا ؟! ألا يمكن أن يبقينا هنا حبنا ويدانا اللتان تصافحتا وديدون المستعدة لتموت شر ميتة ؟ أمني انا تفر ؟! بحق هذه الدموع التي أذرفها ، بحق يدك التي لم يبق لي في شقائي من معين سواها ، بحق تعانقنا وقراننا اذا كنت جديرة بشيء منك ، اذا ظهر لك مني شيء حسن أشفق على بيت يتداعى ، اذا كان ما زال لتوسلاتي مكان عندك أضرع اليك أن تتخلى عن هذا العزم المشؤوم فبسببك كرهتني شعوب ليبيا والطغاة الرحل وغضب علي الصوريون ، ومن أجلك ضحيت بعفافي وبسمعتي السابقة التي وحدها

سمت بي حتى النجوم • فالى من تتركني محتضرة يا ضيفي ما دام هذا الاسم هو الشيء الوحيد الذي بقي لي من زوجي • ماذا أنتظر ؟! اان يهدم أخي أسوار مدينتي ام ان يقودني العدو ّ أسيرة سبية ؟ لو خلّفت لي قبل ذهابك ثمرة نحبنا لكان لي ابني صغير يلعب في قصري فتذكرني ملامحه بملامحك،لكنت قلت انك لم تخنّيولم تهجرني تماما •

وبعد أن لبث ايني محدقاً لا يرف له طرف كابتا اضطراب قلبه حسب أوامر جوبتير أجابها قائلا : لقد غمرتني بأفضال لا تحصى فيمكنك أن تعدديها دون خوف فأنا لن أنكرها أيتها الملكة ولن أملّ من تذكر ك ما دمت أتذكر ذاتي وما دام فيّ نسمة حياة ، وليس لي بهذا الخصوص سوى كلمات قليلة : فأنا ما قصدت كتمان ذهابي فلا تفترضيه ، كما اني ما وعدت باضرام مشاعل الزفاف ولا جئت لأرتبط بمثل هذه الارتباطات • لو تركني القدر أتصرف بحياتي حسبما أريد وأوفق بين مشاغلي ورغبتي لكنت اهتممت بالرحيلالى ايطاليا والاقامة فيها : فهذا هو واجبي وتلك هي وطني • اذا كان لقلاع قرطاجة ولمرأى مدينة ليبيّة سحر في نظر فينيقية مثلك فلماذا تحسدين « التوسر » على الاستقرار في اوزونيا ؟ من حقنا نحن البحث عن امبراطورية خارج بلادنا • ان طيف أبي الغاضب يرعبني في منامي كل ليلة ، ولا أقول شيئا عن الاهانة التي ألحقها بابني باضاعة الملك والحقول التي خصتّه بها الاقدار • لقد أرسل جوبتير منذ وقت قصير رسوله حاملا الي ّ أوامره • لقد رأيت بعينيّ الاله وسط نور ساطع يدخل أسوارك

وسمعت كلامه بأذني • كُفّي اذن عن اثارة ألمك وألمي بشكواك ! فأنا لا أسعى الى ايطاليا بمحض ارادتي •

عندئذ انفجرت ديدون غضبا وقالت : كلا ! ما كانت أمك إلهة قط أيها الخائن ولا داردانوس جدكم الاعلى بل جبال القفقاس ذات الصخور الصلدة أنجبتك ونمرات هيركانيا أرضعتك •• هل يجدي نفعاً اخفاء الحقيقة ؟ فأي اهانات أكبر ستلحق بي أيضا ؟ أسمع له تنهد لبكائي ؟ هل التفت اليّ ؟ هل أستسلم للدموع ؟ هل أشفق على خليلته ؟ ماذا أستطيع أن أتصور أقسى من ذلك ؟ لا جنون العظمة ولا أبو الالهة ينظر الى هذه الخيانة بعين العدل ، فحسن النية مفقود في كل مكان •

لقد قذف به الى الشاطىء وكان في حاجة الى كل شيء فاستقبلته أنا يالي من حمقاء ! ووسعت له مكانا في عرشي • لقد أنقذت سفنه من الضياع ورفاقه من الموت •

يا للأسف ! ان ربات الذعر تحرقني وتهيجني • جوبيتر نفسه يصدر الآن أوامره القطعية ! هذا هو عمل الآلهة ••

اني لا أستبقيك ولا أدحض أقوالك • لا • اذهب وامض الى ايطاليا تحت رحمة الرياح وابحث عن الممالك في المياه ••

اذا كان للعدل الالهي قدرة ما فاني أؤمّل أن تجد عذابك بين الصخور وأن تذكر اسم ديدون كثيرا •

سأتبعك بعيدة عنك بمشاعل ربة الغضب ، وعندما ينزع الموت البارد روحي من أعضائي فان طيفي سيلاحقك في كل مكان ، سوف تنال قصاصك أيها الشقي ! وسوف يصل صداه الى مسمعي في مقرّ الاموات تحت الارض ! ..

ودّ اينى لو يخفف عنها آلامها ويؤاسيها بكلمات طيبة وهو يئن كثيرا ودموعه تنهمر من عينيه ، ومع أن حبه العظيم قد زعزع كيانه واجتاح الألم قلبه الكبير فان ارادته لم تهن وأخيرا أذعن الى أوامر الاله ومضى الى أسطوله .. لم يثنه تضرّع ديدون ولا وساطة شقيقتها انّا فيما بعد .

وأيّ شعور كان شعور ديدون عندما شهدت من أعلى شرفات قصرها الطرواديين منهمكين في الرحيل !

أيها الحب اللعين الى أيّ مدى تهوي بالقلب البشري ؟!

وتغلّب الحزن على ديدون :

« موتي فانت للموت أهل وامحي الألم بالحديد »

وأمرت ديدون بتنضيد محرقة كبيرة وفي الصباح صعدت اليها وأمرت باشعال النار في الحطب ولما بلغ اللهيب اليها طعنت نفسها بخنجر وهي تستنزل غضب الآلهة على اينى وسلالته انتقاماً منه .

* * *

وبعد أن هبط ايني الى مقرّ الاموات في ايطاليا ، حسب معتقـد الاقدمين وتصور فرجيل ، وصل الى سهول الدموع وغابة الآس التي تأوي اليها وتختفي في شعابها أرواح الذين برّح بهم الحب في حياتهم وما زال يضنيهم حتى بعد المـوت وهناك رأى اينـي بعض أولئك العشاق وديدون تهيم في الغابة الكبيرة وكان جرحها مازال ينزف فعرفها وذرفت دموعه ولما اقترب منها خاطبها قائلا :

منكودة الحظّ أنت يا ديدون ! أكان صحيحا اذن نبأ انتحارك بعد اتخاذك قرارك الحارم ! وا أسفي لقد كنتُ سبب موتك ! أقسم لك بالنجوم وبالالهة العليا وبكل ما هو مقدس في أعماق الارض اني ما تركت شاطئك الاّ مكرهاً . ما فعلت سوى أني أطعت أوامر الآلهة التي لا تعاكس وهي التي أجبرتني اليوم على المجيء الى مقرّ الاموات الحالك الظلمة وما كنت لأصدّق أن ذهابي قد يسبب لك حزنا كبيرا كهذا ! قفي ولا تتواري عن نظري فممن تهربين ؟ فهذه هي المرّة الاخيرة التي يسمح لي القدر فيها بأن أراك .

لقد حاول ايني بهذه الكلمات أن يلطّف غضب هذه الروح المحتدمة غيظا . أما هي فقد بقيت جامدة وعيناها في الارض مطرقة حتى بدت كأنها حصاة صلدة لم تتأثّر بشيء وأخيرا تحوّلت عن ايني وانسحبت مهرولة الى الغابة الظليلة حيث كان زوجها سيشه الذي يتجاوب مع

اهتمامها ويقاسمها الحب" • أما ايني فقد اضطرب لهذا المصاب الحائر وظل" ينظر اليها وهي تبتعد باكياً راثياً لحالها •

(١) فرجيل : الانيادة طبعة كارنيه اخوان ، باريس •

(٢) هنري اوبير : الاساطير الخرافية ص ٨٥

— سليمان البستاني : الالياذة (ترجمة) ص ١١٦٥ و ١١٦٦

(٣) سفر التكوين : ٦/١ و ٤

(٤) كتاب اخنوخ طبعة روبير لافونت ، باريس ص ٨ — ١١ — و ١٨ — ٢٤

(٥) القرآن : السورة ٣/١٦ و ١٩ (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) والسور ٦/١٠٠ و ٢٧/١٤٩ و ٥٢/٣٩ و ٨٦/٥٧

— محمد عزة دروزة : القرآن المجيد : الملائكة والجن ص ١٨٥

— علي الجندي : الجن بين الحقائق والاساطير ج ٢ ص ١٦٧ و ١٦٢ و ١٧٦ و ج١ ص٣٢

(٦) الشيخ محيي الدين بن عربي : ترجمـــان الاشواق طبعة صادر ص ١٥

(٧) هوميروس : الالياذة طبعة كرنيه فلاماريون
الالياذة ترجمة سليمان البستاني

— ر. لا لنه و هـ. لانطوان : دروس في الادب اللاتيني ص ٨٧ و ٥) و ٧) و ١٣٣ — ١٦٩

(٨) خليل مطران : المختـــارات ص ٢٣١

(٩) هيرا (جرنون) هي امرأة جوبيتر واخته (معجم الاساطير لسبغيرس ص ١٨٦ و ١٥٧) والالياذة ترجمة سليمان البستاني ص ١٢٥٠ •

(١٠) عنبرة الخالدي : فرجيل ، الانيادة (ترجمة) ص ٨٥

تقول عنبرة ان سيشه (سيخوس) زوج ديدون قتله « اخوه » في حين ان القاتل هــو

شقيق ديدون مكان عليها ان تقول « أخيك » والاديبة عبرة في ص ٨٦ تنقل قول شقيقة ديدون : « اذكري اخاك في صور وسوء عمله تحوك » وسمي احمد الكسراوي سيشه عاشربلس .

(١١) كان في روما لالهة العفة « ايلوس بودور »هيكلان وما كان يعبد تلك الربة سوى النساء اللواتي لم يتزوجن الا مرة واحدة .

(١٢) ديدون بنت ملك صورماتان هيد اينوبعل،خلعت عن العرش مهاجرت الى قبرص ثم الى شمالي امريقيا حيث أسست مدينة قرطاجة نحو عام ٨١٤ ق.س لكر مرجيل في اتيانته أن ايني مر بمدشتها ماستقبلته استقبالا كبيرا وكاصت به ولما تركها قتلت نفسها على محرقة . وديدون تدعى ايضا اليسا او اليسار كما في اعلام المنجد وفي مقدمة « قرطاجة » لشكر الله الجر وسماها علية احمد الكسراوي في روايته (ابطال من بلادي) وكذلك احمد المختار الوزير في مسرحيته الشعرية وقد سميت باللغة اللاتينية ديدو واليسا Elissae وبالفرنسية ديــدون وهو لقبها .



رؤيا العربي الأخيرة لايتيل عدنان

بقلم . د . نذير العظمة

صدر للشاعرة إيتيل عدنان عن دار بابيروس في باريز قصيدتها المطولة بعنوان رؤيا العربي الاخيرة ستون صفحة باللغة الفرنسية ، وهي قصيدة طويلة تبتدىء بالكلام عن الفاجعة اللبنانية شمسها المتشكلة دماً وسماء وبحراً وفصولا وتنتهي بالحضارة العربية الواثبة من رحم التاريخ فرساً أصيلة لايلجمها الشوط رغم زحم الرهان وتنافس الامم والحضارات ..

إيتيل عدنان لا تتكلم عن الحداثة ولا تنظّر في التجديد وهي براء من عقدة التراث والاصالة ، ذلك لانها في شعرها تنظم الماضي والحاضر والمستقبل في سلك رؤياها الشعرية النافذة . وتلائم الحداثة والتراث كما تلائم التراث والاصالة فيأتي شعرها نبعاً متفجراً من القلب الذي يخفق في صدر التاريخ وطائراً فينيقاً يحترق في صدر الوطن ليحيل رماده الى نار وبركان يتفجر من معاناة الانسان في غربة الحضارة حضارة تهاجر من نبضها وتعترب عن ينابيعها الرثة وتنفي نفسها بنفسها

عن ينبوع الحركة وروح اللهب وهي منذ فجر التاريخ الجلي معطاء أرضاً وتراثاً وحضارة ·

إيتيل عدنان تشعر ككاتب ياسين الاديب الجزائري المبدع ، أن اللغة الفرنسية عندها رغم جمالها في السكب وألقها في العبارة ونفاذها في الصورة ونصاعتها في الديباجة لم تعرّب روحها عن الجذور ولم تعط لنبضها شغافاً فرنسياً ·

لقد ظلت إيتيل عدنان محتفظة بالجمر الذي حملته معها منذ الطفولة الى مدارس الراهبات التي سرقت سانها ولم تسرق قلبها الشاعر ولهبها المحيي من الصدر والرحم العربيين · فاللغة قفصها المفتوح بجدرانه وقضبانه للانفضاض على العالم من غار النفي ولتعترس بالرؤيا الملتهبة برودة المأساة العربية التي تنسج على الانوال العربية وفي عتمة المصالح والارادات الغريبة ·

وإيتيل عدنان لاتشغل بالها بمصطلحات الالزام والالتزام لانها تمارس الحياة وتخترقها بالشعر رغم شراسة الشروط شروط الوجود التي تفرض على انساننا من الخارج أغلب الاحيان ويفرضها هو نفسه على نفسه بقبولها واعتناقها ·

هذه المرأة النادرة التي يخرج صوتها حمامةبيضاء من حنجرة التاريخ والوطن لتستقر في قلوبنا الجريحة بلسماً شافياً تمسح بريش أجنحتها عيوننا الرمداء من دخان المصالح الفئوية التي تتآكل وجودنا القومي فتأتي الشاعرة لتمتشقنا من ركام المعارك الجزئية الى ميدان الساحة

القومية ، فالعراك في رؤيها كما هو في الواقع ليس طائفيا ، والعراك ليس سياسيا ، والعراك ليس اقليميا كيانيا • انه عراك حضارة لتحل محل حضارة •• انه عراك أمة مبعثرة تائهة لتحل محل أمة راسخة عريقة • انه عراك تاريخ مرتحل ليحل محل تاريخ مقيم راسخ •

والشاعرة عدنان تقف على عتبة هذا العراك لتسبر أعماقه وتكشف أغواره وتفضح جوانبه ومصاحباته • انها تخرق بالعين النافذة كمدية حادة لحم الحقائق المحسوسة لتصل الى أم الجريمة •

لذلك لايستغرب القارىء كيف أن الاوساط الصهيونية في الغرب ـ أوروبا والولايات المتحدة ـ شنت عليها حملات مشوهة واتهمتها أنها ضد السامية خصة بعد أن نشرت ترجمة قصيدتها « جبوس » •

هذه القصيدة التي كتبتها أصلا باللغة الفرنسية وترجمتها الى الانجليزية ونشرتها تغريس (Tigris) في مجلة للشعر كانت تصدر في سان فرانسيسكو ثم توقفت بعد نشر القصيدة لحجب المدينة مساعدتها المالية عنها •••

وجبوس ـ كما في التوراة ـ هو الكنعاني الذي بنى مدينة القدس ثم جاء بعده العبرانيون ليسرقوا المدينة وتراثها وتاريخها • وجبوس هو الانسان الذي يتقمص الحضارة أو تتقمصه هذه الحضارة ، فهو مرة جبوس ومرة جلقامش ، ليعبر كل العصور نسغاً محيياً ودماً مضيئاً في شرايين هذه الامة التي ما يزال المؤرخون الاعداء يحفرون لها القبر تلو القبر وماهم بدافنيها طالما أن هناك شعراء يضيئون عتمات التاريخ

وشهداء ينزلون عن صلبانهم لينزلوا بارعش على رؤوس حفاري القبور ، وشهداء ينهضون من تحت الرصاص صدوراً جديدة ثقوبها براعم وجراحها شفاه طفولية تهتف للحياة وتغرد للمستقبل الذي لا مرد لشمسه .

وكما أن الشاعرة إيتيل عدنان اتّهمت باللاسامية في الاوساط الصهيونية العالمية بأنها خسرت بعض قرائها بالفرنسية من اللبنانيين لانها في كتابها « الست ماري روز » (باريس ١٩٧٨) فضحت تركيبة المأساة اللبنانية في الحرب الاهلية الاخيرة وأضاءت شروطها وظروفها الحقيقية ، لذلك تحالفت عليها الميول وتصالحت عليها أرؤس الغول . كما أنها في قصيدتها « قطار بيروت السريع الجحيم » تنبأت بهذه الكارثة اللبنانية قبل أن تقع ، نشرتها في (باريس ١٩٧٣) . انها كالعرافة الممتلئة بضوء الرؤيا أبصرت صورها ورموزها التي تسعى في زواريب بيروت ، شوارعها وساحاتها قبل أن تسعى .

انها تحترق بهذه الرؤيا الرموز والصور لتصل الى المقتل الصراع . انه صراع على الخبز اليومي وشرف الوجود . انه صراع ضد الاحتكارات التي تقمع الانسان والحضارة . انه صراع ضد المنتجين فكراً وغلالا وصناعة . انه صراع شمس الاستعمار الآفلة التي تتشبث بالوجود وتعيش على امتصاص دم الشعوب وخيراتها ، انه صراع الانسان في بنيته الاجتماعية وهيئاته البشرية ضد الاقطاعات الزراعية والطائفية

والمالية . انه صراع الشعر والحق والخير والجمال ضد الشر الزاحف ليقتل حقول الحنطة وقلوب الاطفال وسواعد العمال وقصائد الشعراء فلا يبقي بعده انسان ولا تقوم حضارة ، هذا هو جوهر الصراع فليعلم من تشغله الصورة عن الحقيقة .

جلقامش سوف يأتي ويغمد سيفه في جباه المغتصبين .. هذه هي رؤيا الشاعرة العرافة التي يلقي شعرها الهلع في قلوب العدو .

لانهم يدركون أن المعركة هي معركة الفكر قبل كل شيء ، هي معركة الثقافة التي تكبس على الزناد . وقصائد ايتيل الثلاث: جبوس ـ قطار بيروت السريع ـ جهنم ، ورؤيا العربي الاخيرة ، تكبس الزناد لذلك ترجمت الاولى وستصدر في مجلة « الآداب الاجنبية » في دمشق ، كما ترجمت الثانية وستصدر في مجلة المعرفة . وأنا عاكف على ترجمة القصيدة الثالثة .

ايتيل عدنن ليست شاعرة سياسية ، انها تتجاوز السياسة وليست شاعرة كيان . انها تتجاوز الكيانات .

انها خنساء القرن العشرين التي لا ترثي اخاها صخراً لان الانسان جميعاً يستأثر بقلبها ..

انها ليست خنساء القبيلة ، كما أنها ليست خنساء المدينة ، ورغم انها كثيراً ما تقرن وهج الاندلس بالجراح الفلسطينية في قصائدها ،

ورغم أنها تمتلىء كبرياء بشهداء الارض القومية ٠٠ وانجاز الفكر من تموز جلقامش الـى الحلاج والغزالي وابـن سينا ، الا أن الانســان ٠٠ حضارة الانسان التي انبثقت من الفرات ودجلة ، من النيل والقـدس وبغداد ومأرب ومكة والمدينة ،هيالتيتحرك الحجر في صدرها ورؤياها ٠

لذلك فهي شاعرة تنبثق من أكثر التراثات أصالة وحضارة ، تنبثق منه ولا تنفصم رغم لغتها الغريبة ٠

ان مضمون شعرها الحضاري يعطي جاذبية لرؤيـها الشعرية ، كما أن قدرتها على الرمز والتضمين الاسطورييعطيها أبعاداًغنية ويكسبها لغتها صفة عالمية متميزة ٠٠

ومع أنها تأخذ رموزها من الميثولوجيا السورية ومابين النهـرين ، وتستمين بالمصادر العربية والاسلامية في تشكيلها الشعري وتضمينها الابداعي الا أنها بتداولها مع التراث منذ فجر التاريخ الجلي تضع يدنا على امتداد المتسع في الحاضر والمستقبل ، فهي لاتئن ولاتتأوه ولا تبكي بل تصدح بوقفتها العرافة والنبؤة تشع من عينيها أن التاريخ ليس قبراً لهذه الحضارة ٠ انه منطلقها ٠ والموت ما هو بنهاية لها ٠ انه بداءة وجسر ٠

ورغم أن ايتيل عدنان تتعامل مع الرموز التموزية الا أنها لا تقترب منها اقتراب الشعراء التموزيين ومعاناتها تنبع من واقـع الحضـارة ومأساتها ٠ فهي لا تنطلق من الرموز المجردة الى الواقع بقدر ما ترتفع

من الواقع الى الرمز ، كما بنية قصائدها الفكرية والنفسة والفنية لا تقوم على تقابل الحياة والموت كما هو الحال عند التموزيين بل هي تزامن حركة التاريخ وتنطلق منه انطلاقا أسطوريا ·

ترافق الحاضر وتتجاوزه الى رؤيا المستقبل ·

تعانق الواقع وتجنحه بالاسطورة والرمز ·

انها تعطي الركام والانكسار زمن الحروج بين المخاض والولادة ، وتنتقل من الكياني والاقليمي الى القومي والحضاري ·

ومن الآن الى الانسان والكون ·

مما يكسب شعرها هديراً ملحميا حيث يتوسل الواقع بحركة التاريخ والتاريخ بعصب الفكر وافكر ريش الاسطورة ولهب الرؤيا الشعرية·

التموزي يسافر في جزر الموت ليكون امتداد الحياة ، يجرد ويلعب لعبة اللغة لعبة الرمز لعبة الاسطورة · أما الشاعر الجلقامشي فهو الذي يتصدى للتنين ليصرعه بالرمح، الشاعر يمتطي صهوة التاريخ ويتمكن منها ، يمتطي نهر الواقع ويقوده في خط الحضارة وعمقها في ديمومتها وامتدادها فلا يجرد ولا يتعالى بل ينغمس انغماساً كلياً في تراب الوقائع الجارية ويخرج منها طائر النار الذي لا يموت ·

ولانها رسامة وشاعرة فهي تعبر من الحواس الى النفس لا من الفكر الى النفس كما هو الحال عند التجريديين في الشعر ، لذلك يأتي

شعرها مسربلا باللهب ورموزها متوهجة بالنبض وتخاطب صورها العين أكثر ما تخاطب السمع ·

في قصيدتها « رؤيا العربي الاخيرة » تتوسل الكلمة كما تتوسل اللون لايصال كلمتها الشعرية ، تلجأ الى العبارة كما تلجأ الى الخط والاشارة لتنقل الى القارىء ما يعتلج في صدرها ·

وتلتقي في دمشق آرام وبائم كنعان وكبرياء بغداد في رحلة جلفامشية ملحمية وترمي التنين الراحف بضربة الخصر المسددة ورؤياه التي لا يخدعها تعداد الرؤوس وتحولها ·

ويتجلى أسلوبها أكثر ما يتجلى في رؤياها الحضارية المتوهجة فتخرج من وجع الرثاء والرماد الى حلم القصيدة الملتهب ، ومن مخاض المعاناة الى صراع الولادة الضوئية ومن غناء العرافة الى ملحمة البطولة وانشاده لشاعرة نبية تقف على عتبة المستقبل بحنجرة متميزة ·

نموذج مختار من رؤيا العربي الاخيرة

ترجمه من الفرنسية د. منير العقبة

انني نبي أمة لا فائدة منها قف مريضة في المخيخ

سموحالا سموحالا سموحالا تيكوماتا تيكوماتا تيكوماتا ●

● اسمان لزعيمين من الهنود الحمر ·

انني قناص ذو الشعر الملزق على السوالف قف

انني برتقالة مجمدة أكبر من أنف رؤساء الجمهورية

كل جرح ميت وبيروت جثة على هضبة من العملة

الشمس مسافر ينفخ في جذوع القش

يشرب ليموناضة مبردة في أزقة مقبرة

للشمس ذكر مزين بالاشرطة قف

أنا الارهابي المختبىء في قعر بضاعة أرجنتينية

الشمس هي سمك القرش الذي يتبع مخلصاً سفن الاوريغواي

،نني القاضي الجالس على كل آلة حاسبة تصيح الحرية الى متى ؟

الشمس في كل يوم درج بيروقراطي توزع الساعات

والمحكومون ذوو الاسنان البيضاء يجرون أقدامهم حتى نبع الدم

في رائحة الجيف المنسية من خدمة صناديق الزبالة ترقد االشمس

بينما تتنفس النباتات ٠

يقول الراديو لقد منح التاريخ عشرة بلايين من السنين للشمس

الشمس التي استهلكت نصف حياتها

شمس الصباح شمس المساء أنت نقية أنت نقية

الشمس المسرّجة بأكياس الغليسرين الشمس انفجرت

الشمس فرّغت الصيدليات الشمس تتنره في الصحراء

• الشمس الملأى بالمخدرات لترتكب جرائمها على الرواسي

انها تتخدر

الشمس تنحت المناكب البطون الاقدام والادمغة

والاشجار حتى حبات الرمال تتفجر

بيروت تترنح في قلب الشمس النشوة تدمرها

اننا أتون مع الشمس في محل الوجه المحمول على جدع شجرة

والاعمدة المقطوعة الرأس تبكي نسوة بابل تذبح

التاريخ يدفع مسرّع قدرته حتى النهاية

القرى تتساقط كالذرات والورود هي محركات آلية

الشمس فرغت باحات البيوت شربت ماء الينابيع

قلقامش يتلطى بالجدران الحقول ترفض أن تلجىء السنابل

الشمس تتبوأ ضفاف نهرى العاصي ودجلة الى الابد

قلقامش يعود على طائرة ليروينا من النفط

ها قد غسلنا العيون في الجحيم الشمسي

عمي هم الملوك العرب يجأرون في ليل الرمال

اشمس ريح ابدية أصبحت مجنونة في صباح حبها الاول

بودلير المرتزق الشمس الابجدية تخرج من أوغاريت ملكة بابل

الشمس أميرة الكلمات قف حليقة الكلمة قف

شمس صفراء كلمة شمس تتوقف في حلقي

بين نهري دجلة والفرات تهتز الشمس على الارض

داخل نهر الموز واسبانيا شمس صفراء تتذكر

الكلام مصنوع من مواد شمسية قف بو بو بو

بودلير مرتزق يبيع كلماته للقبائل الشمسية كأنها رصاصات !

شمس تعرف الرجال الشمس كلمة تحملها أصابعنا

شمس : فيالق من الشعراء تـظهر القوة الهابطة من الكلمات

حلقات فسفورية تقيد الكلام على شجرة الشر

شمس صفراء شمس زرقاء شمس سوداء دائرة الكلمة احترقت قف

بودلير المرتزق قاتل جيراردو نرفال* قف

شمس ابن سينا جلاد الحلاج مرمي على مجارير الاندلس

الشمس* تتعرى من كلماتها في ظفار لسفر كوني

انها تمطر على البحر قف الاسماك تفتح مظلاتها لتحميه من المطر

انها عنات انها عشتار انها ايزيس انها أفروديت في البحث عن الشمس الذكـر

الشمس قامت على دراع رطبة قف لقد ولدت في مدينـة ميتة

الاسماك تأكل الجثث المنحدرة من الجبل

على حنين الشمس تبكي قف دموعاً من الرصاص والنفط

الشمس جمرة حمراء ورزقاء في شريان المدينة مضحي حملا .

---

* شاعر فرنسي من شعراء الرمزية زار الشرق واصيب بالجنون لفرط حساسيته .

* آلهة الخصب والحب والجمال تماما عند السوريين والبابليين والمصريين واليونان.

الرومنتيكية والقصة

ترجمة : ربيع علاء لدين

لا شك بأن القرن التاسع عشر كان العصر الذهبي لتطور القصة الفرنسية ٠ وقد لاتكون دراسة هذا النوع الادبي وافية ما لم نعد الى القرن الثامن عشر لالقاء نظرة سريعة على التيار الكلاسيكي ، وقد نكتفي في هذا البحث بدراسة القصة الرومنتيكية في فرنسا على أن نكمل البحث في القصة الواقعية والطبيعية في بحث متصل ٠

مع طغيان الكلاسيكية في القرن السبع عشر ومبادئها المعروفة(١)٠ تأثرت القصة بهذا الاتجاه وخاصة بأعمال راسين (أندروماك ـ هوارس ـ فيدر) وبعظمة ابطال كورناي ـ ٠

الا انها بقيت متخلفة في الصفوف الخلفية من الاجناس الادبية الاخرى ٠

لكن الفن القصصي في القرن الثمن عشر بدأ بالتحول والاهتمام بالناحية النفسية والاجتماعية للفرد ، فاخذت القصة تدافع عن المذنبين

وتبحث في قضايا المجتمع وحقوق الطبقات الوسطى ·

لكن هذه الاتجاهات ستبلور أكثر وستأخذ حجماً كبيراً مع الحركة الرومانتيكية والواقعية والطبيعية خلال القرن التاسع عشر وستظهر في سماء االقصة أسماء كتّاب كبار في تاريخ الادب العالمي·

ومع تراجع الكلاسيكية كانت الحركة الرومانتيكية الجديدة تتقدم الى الامام بالرغم من أصوات المؤيدين للكلاسيكية وعلى رأسهم (بوالو، وريارول) ·

كانت الحركة الرومانتيكية حركة ثورية وتجديد في مختلف الاجناس الادبية ، بينما كان الكلاسيكيون دعاة الالتزام والقيود ، فجاء الرومنتيكيون ليحطموها · فيعلن هيغو زعيم هذه الحركة « الحرية في الفن » بعد أن قيدها الكلاسيكيون ·

وقد لا نستطيع أن ندرس هذه الحركة في فرنسا فقط ، فالرومنتيكية ليست حركة فرنسية وحسب بل هي حركة أوربية ، وقد لعبت ظروف داخلية وخارجية في خلق هذا التيار ·

مع مدام دوستيل وشاتوبريان دخلت الرومنتيكية الى فرنسا · فمدام دوسيل كانت أولى الداعين لها ، بما نقلته من أفكار ثورية في الادب والنقد وحملتها الى فرنسا من ألمانيا ، كأفكار غوته وشيلر وغيرهما ·

أما شاتو بريان فلقد كان بغنائيته وولعه بالخيال ووصفه لكآبته أباً

للرومنتيكية ، وان كنا لا ننكر نتاج روسو والافكار والمشاعر التينشرها فكانت بمثابة البذور الاولى لهذا التيار الادبي الجديد ٠

والكلمة « رومانتبكية » ليست فرنسية وليس لها مدلول واحد وقد لا تستطيع أسطر قليلة أن نعرّف هذه الحركة الكبيرة التي قلبت مفاهيم عديدة ، وحملت معها أفكار التحرر ومطالبة الناس بحقوقهم وجعلت الادب صورة لآمال المجتمع ٠

فالحركة الجديدة كانت حركة معارضة للمبادىء الكلاسيكية وقد لا تتضح لنا معالم الرومنتيكية مالم نقارنها بالاسس الكلاسيكية ٠

مع الكلاسيكين كان العقل في المرتبة الاولى فهو المسيطر عندهم ، لذلك جاءت كتاباتهم عامة ٠ فهم يكتبون عن كل ماهو عظيم ومشترك ٠ وان كتبوا عن العاطفة والشعور ، فهنالك حدود ودوائر لا يجب تخطيها ٠

أما الادب الرومنتيكي فجاء لينسف هذه المبادىء وينكر تسلط العقل على الكاتب والشاعر ويطلق العنان للعاطفة والشعور ٠ وبينما كنا نتحدث عن العقل عند الكلاسيكيين بدأنا بالتحدث عن االقلب عند الرومنتيكيين ٠ فالقلب هو مصدر الوحي والالهام عندهم ٠ بينما كان المثل الاعلى للكلاسيكيين أعمال القدامى (اليونان - والرومان) منهما يستلهمون موضوعاتهم وأفكارهم جاء الرومنتيكيون ليحطموا هذا التقليد وجعلوا من أدبهم « أدب الأنا » فمادة الكتابة عندهم هي حياة الكاتب وتجاربه وأحاسيسه المختلفة وذكرياته ، وليس نتاجهم

إلا مرآة لعواطفهم ومشاعرهم . فلا قيود على أحاسيسهم ولا حدود لأذواقهم ومفهوم الجمال عندهم ذاتي يتعدى الحقائق والخطوط التي قدسها الكلاسيكيون وداروا في أفلاكها . يقول « روسو » :

« كنت أنهض مع الشمس وكنت سعيدا . وكنت أتنزه . وكنت سعيدا ... كنت أقطع الغابات . وأتيه في الوديان وأقرأ .... كنت عاطلا عن العمل ، أعمل في الحديقة وأقطف الاثمار ... وكانت السعادة تلاحقني أينما حللت . »

كان الكلاسيكيون يهدفون في كتاباتهم الى اعطاء درس أخلاقي من خلال أعمالهم . فالمسرح عندهم كان مدرسة أخلاقية :

(الانتصار للواجب على الحب في مسرحية « السّيد » لكورنيه .)

وابراز قبح الرذيلة وتهور العاطفة : (« أرميون » في مسرحية أندروماك لراسين) .

لكن الرومانسيكيين لم يهتموا بهذه القواعد وأظهروا كل ردات فعل العاطفة . بالاضافة الى ما ألفوه وأظهروه في مختلف الاجناس الادبية .

كان الادب الكلاسيكي محتكرا على فئة خصة من الناس ، هي الارستقراطية . لذلك تقيد الادب والادباء بهم . فكانوا يؤمنون بسلطاتهم الإلهية . وربطوا بين السلطة والدين .

أما الرومانتيكيون فكانوا من عامة الشعب لذلك دعوا الى التحرر

والثورة ، ودافعوا عن حقوق الشعب وخاصة الطبقة البورجوازية وكان عمل أكثرهم في السياسة كشاتوبريان ، ولامارتين ، وهيغو ، وغيرهم .

والرومنتيكي يتعلق بالعاطفة والشعور فكان يسرح في عالم الخيال والحلم . روسّو أول من سار في هذا الاتجاه في اعترافاته وأحلامه .

وتبعه الآخرون في الانطلاق بالخيال والاحلام في جوف الليل وصمته الرهيب . وبالتطلع الى عوالم جديدة وهذا ما عبر عنه روسو : « كنت احب أن أغيب عن نفسي سابحاً بخيالي في الفضاء . وكنت أشعر أني أختنق في حدود هذا العالم فأتمنى لو انطلقت في اللا نهاية » .

ومادام الرومنتيكي يحلم ويتخيل فلقد أفصحت الصورة عن كثير مما يختلج في نفسه من أفكار وآمال . يقول شاتوبريان في « مذكرات ما وراء القبر » . (من المسرات التي كانت تفرحني كثيرا هي مغالبة العواصف فألعب على الشاطىء مع الامواج التي تتراجع أمامي أو تركض خلفي .) .

ولكثرة أحلامه وتأمله لذاته كان الرومنتيكي يحب الوحدة والانعزال في قلب الطبيعة حيث يحس بالنشوة والسعادة . يقول روسو : هنالك وأنا أتنزه كنت أقوم بالصلاة فلا أتمتم دون جدوى بل تسمو روحي نحو الخالق في هذه الطبيعة المحبوبة حيث يمتد جمالها تحت ناظري . فلا أتضرع في غرفتي ، فأنا أظن أن الجدران وأعمال الرجال تقف بيني وبين الله . فأنا أتأمل الله في خلقه بينما يسمو قلبي اليه .

فالطبيعة عند روسو هي مصدر للوحي وسبيل الوصول الى الخالق. وقد يكون هنالك بعض الاختلاف في مفهوم الرومنسيكين للطبيعة الا انهم جميعاً يجمعون على محبتها . فالطبيعة بجمالها ولوحاتها الجذابة وألوانه المختلفة تجذب الرومنتيكين وتخصب أحاسيسهم . فلا غرو اذن أن يمجدوها ويتغنوا بجمالها ويمزجوا بينها وبين أحاسيسهم .

ومادام القلب محوراً أو محطة هامة عند الرومنتيكين فلقد شغلتهم عاطفة الحب وغلبت على كتاباتهم . فكان الحب فضيلة تدعو الى الواجب كما كان العقل عند الكلاسكين « هروي بلاس » عند هيغو يقول :

ـ أحبك حبا صادقاً .

اني أحلم بك حلم الاعمى بالضوء .

سيدتي إصغي الي ، عندي أحلام لا عداد لها .

أحبك من بعيد ومن قريب وفي جوف الظلام .

والحب عندهم كذلك ذكرى تتنفس حتى في الجماد ففي قصيدة « البحيرة » للامارتين كتاب التأملات ، يتذكر الشاعر حبيبته « جولي شارل » فتتقطر الابيات دماً وتنزف ألماً . فهو يذكر البحيرة حيث جلس وحبيبته ، فيخاطب البحيرة :

انظري ! لقد جئت وحيداً أجلس على هذا البحر

حيث كنت تجدينها جالسة ·

والذكرى تلاحق روسو أيضاً في (الهليويز الجديدة) حيث يصف لقاء الحبيبين عند بحيرة لمان · وكذلك هيمو يثير هذا الرمـز في (حـزن أمبيـو) ·

والدعوة الى الحب عند لامارتين مقرونة بالتعجل · يقول لامارتين في كتاب التأملات : فلنحب فلنحب اذن ! فالزمن يمضي فلنسرع ونستمتع! أيها الزمن - أوقف طيرانك ··· فالفجر يبدد الليل ·

فلا مارتين يردد فلسفة ابيقور الذي يدعو الى التمتع بالحياة قبل فوات الأوان ·

والحب عند موسيه ذكرى أليمة قد تفوق السعادة (ليلة أوكتوبر)

فالذكرى السعيدة ربما تكون على الارض أصدق من السعادة ·

ويريد : كنت أقول لوحدي : في هذه الساعة، وفي هذا المكان، وفي يوم

ما أحببت ! أحببت ! لقد كانت جميلة

دفنت هذا الكنز في نفسي الخالدة وحملته الى الرب »

والحب أيضاً يثير الألم عند « موسيه »:« أحب وأريد العذاب - أريد أن أحس على خدي فيض نبع من الدموع لا يمكن أن يفيض »

« وموسيه » نفسه يقول « لك أن تشك في الكائن الذي تحب في

المرأة أو الكلب ولكن لا في الحب نفسه » (القصائد الكاملة) • والحب عنده مصدر الالهام « ما يدعوه الانسان بالعبقرية هو الحاجة للحب »

و « هيغو » يقرن الحب بالعمل ويجعل الحب مبدأ حياة الكائنات• والحب كذلك محور العالم : « الله وجهه نور ليس له سوى اسم « هو الحب » واذا خلا الكون من الحب انطفأت الشمس » •

مع الرومنتيكية كانت العودة الى الاحساس الديني فالرومنتيكيون كانوا يريدون السمو بأرواحهم لذلك جاءت أغلب عناوين كتبهم تعبير عن هذا الاتجاه • فلرومنتيكيون كانوا يجدون الله في أصغر الخلائق وأكبرها • ولكنهم كانوا حاقدين على ممثلي الكنسية الذين كانوا يتعاونون مع السلطت الظالمة والملوك • وكان لبعضهم أيضاً بعض الآراء المتطرفة وخاصة (فيني) و (شاتوريان) يكتب « العبقرية المسيحية » ويصف محاسن الدين المسيحي • فالايمان يكون بالقلب كما يقول هيغو •

والذي شغل الرومنتكين كان مسألة الشر والخير والثواب والعقاب• يسأل الادب الرومنتيكي عن الابرياء المظلومين الذين يلاحقهم الشر بدون ذنب • ولقد عني هيغو وفيني بهذه الموضوعات • وقال هيغو : ان الشر هو طريق السمو • وان الجريمة هي ابتعاد عن الله •

وفيني في قصة (دافنة) DAPHNE التي ظهرت عام ١٩١٢ •

يرى أن الدين المسيحي مسؤول عن الحزن والظلمات • والافاضة في هذا الاتجاه تخرجنا من دائرة البحث ولا تعنينا كثيرا •

ولقد غلب على الرومانتيكيين شعورهم بالحزن والكآبة • معبروا عن هذا الشعور طويلا • فالرومنتيكي انسان متألم يرى من الحياة الجانب الاكثر سواداً وحزناً • فهو يرى نهاية الاشياء في بدايتها ويرمز الى قصر الحياة الانسانية « شمس أيامنا تغرب عند طلوع الفجر » (شاتوبريان) •

وقد يصدر الألم عندهم عن أمور كثيرة ـ من الضجر ومن فراغ في الروح ، ومن فقد القريب وفقد الحبيب •• من الحب ومن الخيانة •• من الظلم ومن انهيار الآمال والحياة القصيرة •

كان « موسّيه » شاعر الألم بلا منازع • فبقدر ما كانت طموحاته وسعادته كبيرة في حب « جورج صاند » كانت خيانتها له عاصفة صاعقة في حياته جعلته يتألم ويصبغ اغلب شعره بألوان قاتمة سوداء تنزف ألماً وجراحاً لا تلتئم •

والذي يقال هنا أن شعوره بالاخفاق وخيانة « جورج صاند » له جعلت منه شاعراً بكل معنى الكلمة : « لا شيء يجعلنا عظماء الا الألم (ليلة أيار) فالألم هو الذي يعطي الشعر قيمته الانسانية ، والشاعر انما يكتب بقلبه واحساسه وبدون أقنعة • يقول موسيه في ليلة أوكتوبر ••

« كلما كانت أغانينا أكثر حزناً كلما ازدادت جمالا »

كيف تعرف نفسك ؟ يسأل موسيه ويجيب :

« لا أحد يستطيع أن يتعرف على ذاته بدون أن يتألم »

وقبل مماته كان يقول :

« الخير الوحيد الذي تبقى لي في هذا العالم هو انني أستطيع أن أبكي بعض الاحيان » .

وشاتوبريان في (رينه) بثير كآبته بما يدعوه مرض العصر ، فكان يسافر ويسترسل في أحلام اليقظة هرباً من هذا الفراغ الروحي . وكان يحب غروب الشمس ومناظر الخريف :

« كنت أنتظر بفرح لا ينتهي رجوع فصل العواصف » .

وهيغو يتملكه الحزن الشديد لفقدان ابنته (ليبولديت) فيرثيها شعراً يتقطر بالألم والحزن . فيطلب من الله : ـ اتركني أبكي ـ للأسف أترك الدموع تسيل من جفوني ـ فلقد صنعتها لأجل ذلك

والفريد دوفيني يدعو الى تحمل الألم والموت بصبر وبدون صراخ ففي قصيدة « موت الذئب » . يروي قصة ذئب تحيطه بنادق الصيدين وتمزقه الطلقات وتطعنه السكاكين ويبقى صامداً « ينظر الى الصيدين ثم يتمدد ويلعق الدم الذي انتشر على فمه ، يغلق عينيه ويموت دون أن يطلق صرخة واحدة »

فالشاعر هنا يلجأ الى قصة رمزية يظهر لنا من خلالها موقف الذئب البطولي • وهذا الموقف البطولي التحملي هو فلسفة (رينون) لكن الشاعر هنا تأثر بكتابة «بيرون» •

الحياة والألم تضرب بجذورها العميقة القلوب الوحيدة والكئيبة فالجمل يحمل أثقل الاحمال دون أن يتذمر والذئب يعرف أن يموت بصمت ••

وفيني يطلب من الانسان أن يتمثل بموقف الذئب الذي يقول في آخر القصيدة : وبعد مثلي تألم ومت دون أن تتكلم ـ الصمت وحده هو العظيم وغير ذلك هو ـ ضعف ـ

والرومنتيكي بحكم ما عرضناه يحب العزلة • يقول رينه عند شاتوبريان • « كان رينه يحيا مستغرقاً في ذات نفسه كأنه خارج ما يحيط به من عالم لا يكاد يرى ما يحدث حوله • سجين في وسط آلامه وأحلامه ، وفي هذا الضرب من العزلة النفسية كان يزيد في شراسة طبعه ووحشيته كلما تقدم به الزمن ، فكان ينفر من كل نير ويضيق بكل واجب ويثقل عليه ما يبذله غيره من أنواع العناية »

« ولا يريد الا أن يضرب في الارض ـ لم يبح بما صار اليه ولا أين كان ذاهب • انه لا يدري هو نفسه : أكان فريسة الندم أم العاطفة ! أكان على فضائل أم على رذائل ! هذا مالا يعرفه أحد • ويمكن أن يعتقد المرء فيه كل شيء إلا حقيقة ذاته » •

هو الصورة لبطل قصة شاتوبريان ترسم لنا نفسية البطل الرومنتيكي الذي يعيش في غربة عن مجتمعه يرفض الظلم ولا يحب العمل مسافر بلا وجهه ولا يعرف الا نفسه المستغرقة في دائرة من الوحدة والانعزال .

والرومنتيكي يحلم بأن له رسالة في المجتمع الذي يعيش فيه فهو بخياله وبحدسه للمستقبل يستطيع أن يرسم الطريق السعيد للشعوب .

فهيغو يرى أن الشاعر أو الكتب هو كالرسول الذي يضيء الطريق لإسعاد الشعوب .

بعد هذا العرض الموجز لاهم القضايا التي شغلت هذه الحركة الجديدة ، نتوقف لدراسة آثارها على الانواع الادبية .

كان للشعر والمسرح والنقد النصيب الاكبر في هذه الحركة . أما القصة فلقد شهدت بعض التطورات المحدودة مع الرومانتيكيين . لكن مكانتها المشرقة والحقيقية ستجدها مع المذهب الواقعي والطبيعي .

ارتبطت قصص الكتّاب الرومنتيكيين بحياتهم فأتت قصصهم وصفاً لسيرة ذاتية ، ولقد عرضنا لبعض النماذج أثناء عرضنا لهده الحركة .

واذا كان هنالك بعض الابطال فانهم ليسوا الا عبارة عن شخوص يختفي الكاتب وراءها .

وحتى الكتاب الواقعيين وبالرغم من الموضوعية التي أخذوا بنهجها في كتبهم وقصصهم فلقد ظلوا يدينون للرومنتيكية بالكثير ·

« فراستيناك » عند « بلزاك » و «جوليان سورال» عند «ستندال» و « مدام بوفاري » عند « فلوبير » ·

كانوا يمثلون الى حد بعيد نفسية هؤلاء القصاصين، وسنتوسع في دراسة هذه النقطة عند عرض آثار الرومنتيكية في المذاهب الادبية التي خلفتها هذه الحركة ·

نستطيع أن نميز من القصص الرومنتيكية ، القصص الشخصية أو أدب المذكرات :

وهذه القصص عبارة عن تاريخ حياة أو وصف لسيرة ذاتية اذا أمكن القول ·

ومع أننا أطلنا القول في مفهوم الذاتية الادبية التي تميزت بالعاطفة عند الرومنتيكيين فلا ضرر من الرجوع الى القصص التي ظهرت في هذا النوع ·

فأعمال روسو كانت تحمل بذور الرومنتيكية وتصب في هذا الاتجاه وخصوصا « هلوييز الجديدة »·

ولقد امتزجت كتابة السيرة الذاتية بالخيال عند روسو حتى ضاع الخيط الفاصل بين الحقيقة والخيال ·· وكل ذلك بأسلوب يقرب النثر

من الشعر . يكتب روسو : أنا أشعر بقلبي وأعرف الرجال .. ولم أكن كأحد من الذين رأيتهم . لقد كشفت عن نفسي .. أيها الخالق الخالد .. ويكشف كل وبدوره وبصدق عن قلبه أمام أقدام عرشك وليجرؤ أحد على القول : لقد كنت أفضل من هذا الرجل .

وشاتوبريان يكتب عن ولادته في مذكرات « ما وراء القبر » : عندما ولدت كنت كالميت . فهدير الامواج كان يمنع من سماع صراخي ... غالبا ما قص علي اهلي هذه التفاصيل . في الغرفة حكمت أمي علي بالحياة وضجة العاصفة هزهزت غفوتي الاولى ... فكأن السماء قد جمعت مختلف الاهوال لتضع في سريري صورة من أقداري .

هذه الامثلة الدالة على هذا النوع من القصص كانت تغلب عليها الصورة الجميلة والعاطفة الرقيقة . ولقد تنوعت موضوعاتها من مذكرات وأحلام وآمال ومن قصص للحب والفشل والانتحار .

وان كانت اعترافات روسو صورة لحياته فمذكرات وخواطر شاتوبريان في كتبه كانت صورة لحياته أيضا . وفي نفس الوقت شاهدا لاهم الاحداث التاريخية التي وقعت في عصره .

نضيف لهذه القصص قصة (اعترافات عام ١٨٤٩) « للامارتين » حيث يصف الكاتب قصة حبه مع فتاة اسمها (أونتينولا) تعرف إليها في ايطاليا ودعاها في كتابه باسم غرازيلا .

وقصة (رافائيل) تروي لنا قصص حب أخرى . وفي سنة ١٨٥١

كتب « لامارتين » قصة (جنفياف) وهي قصة حياة خادمة • ثم أتبعها بقصة (حفار سان بول) وهي قصة تضحية حياة أخ لاخيه • وفي نفس الاتجاه أيضا كتاب جورج صاند (تاريخ حياتي) ، (هي وهو) •

وهناك القصص المتنوعة عند الرومنتيكيين والتي تتناول موضوعات مختلفة من الفلسفة والاجتماع والسياسة • وهي القصص الهامة بنظرنا لانها أثارت رياح الثورة وكانت نشيدا للحرية والعدالة الانسانية •

فادب الرومنتيكية كان في خدمة المجتمع واقرار حقوق الفرد المهضومة فن الرومنتيكيين يطرحون مشكلات الشعب ويبحثون عن علاجاتها ؛ وهذه الوجهة تشكل منعطفا هاما في حياة الشعوب خاصة اذا وعيناها في عصرها • ولعلنا نستطيع أن نعتبر هذا النوع من أولى بذور الادب الملتزم •

فروسو كان يقول : « بأن الانسان طيب بطبيعته لكن المجتمع أفسده » • هذه الفكرة وغيرها من الافكار الجديدة والثورية كان لها الاثر الطيب في نفوس الرومنتيكيين الذين أخذوا يدافعون عن المظلومين •

وهيغو كان يحلم أن يكون « الصدى المدوي لعصره » • كان معارضا للسلطة عام ١٨٥١ وكان رمزا للحرية المنفية • ففي جريرة جيرنسي كتب هيغو أعظم مؤلفاته « البؤساء » • وهي قصة الشقاء الانساني •

ففي مقدمة هذا الكتاب يعدد هيغو مشاكل عصره • فمنذ عهد مبكر من عمره اهتم هيغو بمصير البؤساء الذين أهملهم المجتمع أوحكم عليهم

بالظلم . كان عمره سبعة وعشرين عما عندما احتج على الحكم بالاعدام ونشر قصة قصيرة بعنوان « اليوم الاخير لرجل حكم بالاعدام » .

بعدها أخذ يبحث ويتقصى عن علاقات الجريمة بالبؤس والفقر . وقصة « كلود كيو » ليست الا مرافعة أو دفاعا عن البؤساء الذين دُعموا الى الجريمة بسبب المجتمع . وقرر أن يكتب عملا عظيما منذ سنة ١٨٤٠ الى أن ظهرت قصة البؤساء سنة ١٨٦٢ م ، فكانت من روائع القصص الاجتماعية في القرن التاسع عشر .

وهذه القصة زرعت بذور الواقعية لان هيغو كان يأخذ بالملاحظات وبالمشاهدات الواقعية لكتابة هذه الرائعة .

ومع ذلك فهي قصة غنائية ورسم لعادات المجتمع والطغيان فهيغو كان يعلن في هذه القصة انسحاق الانسان والمرأة الجائعة والطفل المشرد في الليل .

فقصة جان فالجان هي صورة حية عن الفقير المنبوذ من الانسان ومن الحيوان ومن الطبيعة ومن المرض والجوع . يقول جان فالجان واصفا حاله :

اسمي جان فالجان ؛ لقد أمضيت تسع عشرة سنة في السجن وقد أطلق سراحي منذ أربعة أيام وأنا في طريقي الآن الى (بونترليه) .

ومنذ أربعة أيام وأنا أسير من (تولون) . وهذا المساء ، عندما

وصلت الى هذا البلد ، ذهبت الى فندق وطردت منه بسبب بطاقتي الصفراء ! قيل لي اذهب من هنا ... فلا أحد يريدني . فذهبت الى حجرة كلب فعضني وأبعدني عنه كأنه رجل يعرفني . فذهبت الى الحقول لانام تحت ضوء القمر لكنه كان غائبا . لقد اعتقد بأنها ستمطر وبأنه لم يكن هنا رب رؤوف يمنعها من الهطول ...

ودخل جان فالجان الى بيت أسقف فاستقبله هذا الاخير ، فكاد جان أن لا يصدق نفسه ، فقال : أحقيقة هذا ؟ هل ستبقيني ؟ ألن تطردني؟ فيجيبه الاسقف : أنت تدعى أخي . وتناول جان فالجان جواز سفره وقال للاسقف : خذ وانظر ما كتب عليه : (جان فالجان «سجين سابق» أمضى في السجن تسعة عشر عاما : خمس سنوات بسبب السرقة وأربع عشرة سنة لمحاولة الهرب أربع مرات . هذا الرجل خطير جدا) . وهكذا ... فالناس كلهم رموني خارجا فهل ستستقبلني أنت ؟.

نظن أن هذه الصور لجان فالجان لاتحتاج الى اثبات للدلالة على البؤس والتشرد الذي يعانيه هذا الرجل من ظلم المجتمع وهذه الصورة ليست إلا مثالا لصور كثيرة من الشقاء والبؤس الانساني .

أما « فيني » فيهاجم الظلم الاجتماعي في « ستللو » ان الفرد قلما يخطىء . ولكن النظام الاجتماعي هو المخطىء دائماً .

ولقد هاجم الرومنتيكيون السلطة الجائرة المتمثلة بالحكام ورجال

الكنيسة • فطالب روسو في العقد الاجتماعي بإرادة الشعب وهاجمهم هيغو في قصته « نوتردام دو باري » •

وفيني يصف بطشهم في « ستللو » : انظر الى هؤلاء العميان •• انهم يسحقون دون رحمة من يتقدمهم أو من يعترض طريقهم •

فالرومنتيكيون اذن يهاجمون النظم والتقاليد الاجتماعية الجائرة التي تقف بوجه الفقراء ،لوضيعين من اقفال باب الوظائف بوجههم ووضع القيود أمام تقدمهم و لبطش بهم ويرون فيهم ضحايا بريئة للمجتمع الذي أفسدهم وأحاطهم بقيود ثقيلة وجائرة •

ولقد أثارت الرومنتيكية أيضا قصة الانسان الضحية التي ساءت عليه الاقدار فلم يعرف أباه وأمه فرفضه المجتمع وازدراه ، كقصة « ليليا » لجورج صاند وقصة « أنطوني » اسكندر ديماس•

ونذكر أيضا كتاب « عمال البحر » لهيغو وكتاب « الانسان الذي يضحك » والتي عالجت بعض المشكلات الاجتماعية ولكنها لم تصل الى مستوى البؤساء • ونزيد أيضا كتاباً آخر لـ « فيني » هو « الاستعباد والعظمة العسكرية » المرتبط بخيط مع « ستللو » • والحقيقة تقال هنا أن كتب فيني لم تلق النجاح الذي احتكره هيغو•

ولقد اهتمت « جورج صاند » بأدب الشعب وبمشكلة تحرير المرأة• فلقد حاولت هذه الكاتبة أن تجعل من قصصها قصصا انسانيةمصوغة

بروحانية اجتماعية • فطالبت بحق المرأة العاطفي وبتحسين العلاقات الاجتماعية بين الطبقات • لهذا عملت في السياسة •

من كتبها « البارون دو نوفان » ، « أورور دبويان » • ومن كتبهـا أيضا في الدفاع عن الشعب « موبار ١٨٣٧ » و « طحان أنجيوه » •

وهناك نوع من االقصص الذي اهتم بالرحلات والسفر • وهذا لايعني أن القصص التي تندرج تحت هذا الباب تتحدث عن السفر وحسـب فلقد امتزجت الموضوعات ببعضها البعض وهدف هذا التبويب ليس إلا للتسهيل والتوضيح فقط •

بحكم وجود فرنسا في قلب أوروبة وبحكم حب الرومنتيكيين للسفر والتجوال واكتشاف بلدان جديدة بعيدا عن صخب وهموم الحياة التـي كانوا يعيشونها •• ازدهر هذا النوع من القصص خاصة وأن السـفر كان غذاء لخيال الكاتب وأحلامه التي كانت في اتقاد دائم •

كتب شاتوبريان « أتالا » اثر زيارته لامريكا ، وهي قصـة حـب بإطار خلاب من الوصف للبلاد الاجنبية • وكتاب (رينه) صورة للعاطفة التي لا حدود لها وللضجر النفسي الذي لا ينتهي وللفراغ الذي يلاحـق القلب دون هوادة •

وجورج صاند كتبت (انديانا) وهي قصة عاطفية ومذكرات ذاتيـة وانطباعات عن رحلاتها خارج فرنسا • وهيغو أيضا كتب عن رحلاتـه

فكانت له قصص عديدة منها (.لرين) و (الالب والبيرنيه) و (فرنسا وبلجيكا) و (في السفر) ٠

وكما يتبين : فموضوعات هذه القصص تراوحت بين المغامرات والحوادث والخواطر الاجتماعية والمناظر الطبيعية٠

وهنالك أيضا القصص الغريبة والمدهشة ٠ وهذا النوع من القصص يرجع الى القرن الثامن عشر وخاصة الى «جاك كازوت» و «آن رادكليف» الانجليزية ٠ فالانسان بطبيعته يحب المغامرات المخيفة ولديه نزعة الحب للخوف من المجهول ٠ فصور القصور المنعزلة في الليالي الباردة ، ومنظر السراديب والغابات وقصص الاشباح تداعب مخيلته وتثير اهتمامه ٠٠

ولقد اشتهر في هذا النوع شارل نوديه(١) الذي نشر سنة ١٨٢١ قصة خيلية غريبة بعنوان « سمارا أو شياطين الليل » ٠

وقد رسم في قصته هذه ، الاكتئاب والقلق والكابوس وأهميةالحلم في الحياة النفسية٠وهنالك قصص أخرى للكاتب منها «الحلم بالذهب»٠

الى جانب « نودّيه » نذكر أيضا غوتيه(٢) الذي ترجم أحلامه في الخيال المطلق نذكر من قصصه (أريا مارسلا) عن مدينة بومباي وقصة (مومي) عن مصر القديمة (وكابتن ماركاس) ٠

وهذا النوع من القصص الذي اشتهر بالايحاء والخيال ستكون له علاقة بالمدرسة الرمزية والسوريالية ٠

وهناك أخيراً القصص التاريخية وهذا النوع القصصي لاقى في عصر لرومنتيكيين رواجاً منقطع النظير •

رائد هذا لنوع كان « والتر سكوت » الذي عرفت القصة التاريخية معه أصولها ومنهجها(١) • ومشكلة هذا النوع من القصص كان الصراع بين الفن وبين التاريخ وصعوبة التوفيق بينهما • فالسرد التاريخي لا يصلح ليكون أدباً ما لم يتدخل الفن •

ولقد امترجت في هذه لقصص أنواع فنية متعددة من حكايا اجتماعية شعبية وتاريخية • ولقد لاقى هذ النوع تشجيع الكتاب والادباء للكتابة في هذا النوع الادبي • نذكر من هؤلاء « بلزاك وديماس و أوجين سو وميشال زيفاغو » وغيرهم •

ولقد انتشرت بعض هذه القصص خارج فرنسا ،لكن الاقبال الشديد عليها كن من جانب الفرنسيين اذ أن موضوعات هذه القصص كانت تتعلق بتاريخ محدد وبعلاقات معينة بين السلطة المالكة والشعب زيادة الى هذا فانها ليست من الادب الخالص الرفيع الذي يستطيع وبأغلبية أن يتجاوز حدود المكان والزمان •

هذه القصص التاريخية تعتمد على لخيال • فالخيال دائما في عيد، والخيال ينتج الصور ويأتي الفعل ويربط بينهما في خيط مشوق معتمدا على حشد الاحداث والمغامرات • فهذا النوع من القصص يعتمد على الاحداث أكثر مما يعتمد على التحليل والبحث النفسي للشخصيات •

فبلزاك جرب كتابة القصة التاريخية « ورثة دوبيراك » التي قدمها بلزاك للناشر فوافق عليها ، واتفق معه على كتابة بعض القصص التاريخية . وكن بلزاك يكتب بأسماء مستعارة . ورغم قصصه الكثيرة فان الشهرة لم تحالفه في هذا النوع .

ومن رواد القصة التاريخية كان (ألكسندر ديماس) . جاءته الشهرة من روايته هنري الثالث التي حملت الى جيوبه مبلغ ثلاثين ألف فرنك فكان يكتب دون توقف . وكان يعاونه « أوغست ماكيت » الذي أعطاه فكرة (االفرسان الثلاثة) . و (مونتو كريستو) و (فارس أرمنتال) ...

ولقد اختلف ديماس عن كتّاب القصة الذين يعتمدون على التاريخ في كتابة قصصهم لكن ديماس كان ينتقد هذا الاتجاه ويقول : انالقصة يجب أن تعبر عنا بصورة أو بأخرى .

فقصصه تتمحور في دائرتين :
الاولى وصف المغامرات الشيقة والمقالب المضحكة .
والثانية طرحه لشخصيته وأفكاره من خلال شخصيات القصة .

فكان ديماس يحاول من خلال روايته (الفرسان الثلاثة) أن يوزع هذه السمات النفسية في أبطاله الاربعة بدل أن يصهرها في شخصية واحدة فكن « أرتنيان وأراميس وبورتوس وأتوس » وهم يمثلون النزعات الاربع التي كانت تتنازع في نفس ديماس .

فالسيرة الذاتية كما يظن ديماس تثقل خيال الكاتب وتثير عنده شعورا نارسيسياً • فالكسندر ديماس يحدثك عن نفسه في ثياب غيره •

ففي قصة (مدام مونسورو) يثير موضوع المنافسة والحسد عند العاشق الذي أثاره ابن جيله (دوستوفيسكي) كما تأثر بفرويد ، وبنزعة أوديب التي نرى بذورا لها في قصته « بعد عشرين سنة » •

كذلك عبر عن النظرية النسبية في اختلاف المواقف وردات الفعل لعدة أبطال أمام حدث واحد ، وذلك في قصة الفرسان الثلاثة •

و ميشال زيفغو يكتب قصة « بورجيا » ليتحدث عن الثأر • فلقد أدخل هذا الكاتب شخصيات حقيقية الى هذه القصة ، فهناك الشر المتمثل ببورجيا ، والخير الممثل بالبطل الذي ينتصر في النهاية •

ولقد كتب هيغو « نوتردام دوباري » وراعى في عمله تقاليد القصة التاريخية وأثبت نجاحه في هذا المضمار • فلقد زار هيغو الكاتدرائية مرات عديدة وخبرها جيدا فكانت مسرحا لقصته •

والقصة تروي حب أحدب نوتردام كازيميدو لفتاة بوهيمية تدعى أرميرلدا ••

ولقد اختلف ألفريد دوفيني مع الاصول التي خطها والتر سكوت في قصصه فجعل الشخصيات التاريخية في المقام الاول وطالب بحق الكاتب في تغيير التاريخ لخدمة الفن والجمال • فكتب (٥ آذار) وهي قصة حب

حدثت في عهد ريشيليو بين الماركيز وبين الاميرة ماري كونزاك في ظل الحرب والمبارزة ٠

هذه القصص الرومانتيكية وبجميع أنواعها كانت انعكاسا لتأثيرات هذه االحركة ومفاهيمها وخاصة القصص الاجتماعية التي كانت تعبيرا عن العصر والتزاما بقضايا الانسان ٠

وامعانا في الذاتية واسترسالا في الحديث عن الانا كانت ردة فعل الواقعيين وعلى رأسهم بلزاك اذين أخذوا يعنون بكتابة القصة الواقعية معتمدين على الواقعية وعلى الحقائق والمشاهدات الموضوعية ٠ الا أن كتابات كبار الكتاب الواقعيين لم تستطع أن تفلت من أسر الرومنسية فحملت بعض تأثيراتها ٠ وهذا مايعنينا هنا ، لان القصة الواقعية امتدادا ببعض خيوطها للرومنتيكية وفي دائرة محدودة جدا ٠

فمادة القصة الواقعية كانت مشكلات العصر الاجتماعية وأبطال قصصهم كنت من الطبقة البورجوازية التي دافع الرومنتيكيون عنها لكنها وعندما تولت الحكم بدأت عيوبها بالظهور فكانت مجالا للتطوير والنقد من جانب الواقعيين الذين تأثروا بأساليب البحث العلمي ٠ وما يمليه عليهم هذا الاتجاه من ابعاد الطابع الذاتي عن أعمالهم فهم يعرضون التجربة دون أن يتدخلوا وعلى القارىء أن يفهم ويستنتج ما يشاء ٠

ومادام الامر كذلك عند الواقعيين فكيف نفذت الرومنتيكية الى أعمالهم ؟٠٠

في كتاب « الاب غوريو » لبلزاك ، يعتبر راستنباك ممثلا لافكار وتجارب الكاتب • فهذا الشاب كبلزاك يدرس الحقوق ويحلم في أن يكون رجلا عظيما في المجتمع •

يزاد الى هذا أن شخصية راستنباك والاب غوريو قريبة ببعض ملامحها من الشخصيات الرومنتيكية •

واذا أخذنا قصة « مدام بوفاري » نجد فلوبير نفسه يقول : «مدام بوفاري هي أنا » • فشخصية مدام بوفاري شبيهة بالشخصيات والابطال الذين نقاهم في العالم الرومنتيكي • فمدام بوفاري رفيقة حالمة يسرح بها الخيال ويلفها الضجر • تحب المغامرات والموسيقى والشعر ، وهي كذلك شخصية مزاجية •

والشيء نفسه يتكرر في شخصية جوليان سورال في قصة « الاحمر والاسود » لستاندال •

والامر الذي يجب أن يقال هنا أن الكاتب لا يستطيع أن يلقي نفسه تماما من عمله الادبي ، فقوانين العطفة ليست كقوانين علم الفلك والكيمياء • ومع ذلك سيطالب (زولا) بالعلم التجريبي في الادب ، وبالتصوير الفني الذي يعتمد على التجربة العلمية •

فالتصوير موجود عند الرومنتيكيين وعند الواقعيين لكن الاختلاف يكمن بأن الرومنتيكي يتجه في تصويره مسلكا ذاتيا وخياليا بينما

يسلك الواقعي في تصويره مسلكا علميا قائما على التجربة ومعتمدا على الحقائق العلمية .

وصفوة القول في هذا المقام أن مشاعل الادب العظيمة تنطفىء .. فالرومنتيكية لم تقض على الكلاسيكية ، والواقعية لم تقض على الرومنتيكية ، والرمزية لم تطفىء الواقعية والطبيعية .

لائحة المراجع

١ ـ الرومانتيكية د. محمد هلال .

٢ ـ الادب المقارن د. محمد هلال .

— Histoire de la Litterature Française Tome 1 et II M. Bechara

— La Litterature Francaise Parles Textes Tome III et IV M. Beshara
Editions Dar Al-Kitab Allubnani

— Andre Le Breton : Le Roman Français Au XVIII Sièle.

— Paul Van Teighem :
Le Romantisme dans la Litterature Europpeenne

— Guy Breton : Histoires Malicieuse des Grands Hommes
Presses Poket

— Chateaubriand : Extraits des Memoires D'outre-Tombe

— Chateaubriand : Rene.

— A. De Vigny : Les Destines.

— A. De Musset : Poesies Completes.

— V. Hugo les Contemplations.

— V. Hugo les Miserables.

متفـــــــرقات

— Lire Au Tourd'Hutt et Larouses.

— Rousseau : Confessions - Reveries.

— Lamartine les Meditations.



عـودة الأسـير

لأندره موروا — ترجمة : نجيب غزاوي

يوري فاسيليفيتش بوندرايف

ولد الكاتب الروسي السوفييتي المعروف يوري بونداريف عام ١٩٢٤ في منطقة الاورال • ويعتبر الآن من الكتاب الشباب الذين ساهموا في الحرب العالمية الثانية منذ بدايتها حتى نهايتها •

أنهى معهد غوركي للآداب عام ١٩٥١ • بدأ بنشر مؤلفاته الادبية عام ١٩٤٩ ، واعتنى بتأليف الاقصوصة • وكانت أول مجموعة قصصية له « فوق النهر الكبير » ١٩٥٣ وحسب انه سيستمر في كتابة الاقاصيص مدة طويلة من حياته ، فلم يفكر في شبابه أن يكتب رواية أو قصة طويلة ، وفكر بأن هذا من الصعب عليه ، لكن بونداريف لم يتوقف عند هذا التفكير ، بل تجرأ وتناول نمط القصة فكتب « الكتائب تطلب النار » عام ١٩٥٧ التي اعتبرت عملا أدبيا ذا أهمية كبرى ، بل انه افتتح بنتاجه هذا اتجاها جديدا في الادب • وبعد هذه البداية الموفقة للكاتب

وجد في نفسه القدرة على المتابعة الجدية فكتب في هذا المجال « الطلقات الاخيرة » ١٩٥٩ والتي أخرجت فيلماً عام ١٩٦١ و « الثلج الحار » وغيرها مما عكس سني الحرب العالمية الثانية من وجهة نظر ذلك الجيل الذي تفتحت عيناه على الحرب وهو في مطلع شبابه ٠٠ فصوّر في هذه الرواية البطولة العظمى التي قام بها الشعب السوفييتي والمحارب بشكل خاص بمن فيهم الضباط والجنرالات ، وصوّر الحالة النفسية للمحاربين على اختلاف شخصياتهم خلال حوادث الحرب ٠

وأصدر الكاتب عام ١٩٦٢ رواية « الصمت » التي أخرجت فيلماً عام ١٩٦٤ ، وظهرت تكملتها عام ١٩٦٤ تحت عنوان « الاثنان » التي يصوّر فيها الحياة بعد الحرب ، وكيف عاد المحاربون الى الحياة المدنية يبحثون عن عمل ومكان جديد في المجتمع ٠ وأصدر مجموعة قصصية بعنوان « في المساء المتأخر » ١٩٦٢، وقصة « الاقرباء » عام ١٩٦٩ التي تصور حياة الشبيبة٠وعمل بونداريف في اعداد سيناريو فيلم «التحرير» مع جماعة من الكتاب الآخرين٠وبعد صدور روايته الشهيرة « الشاطىء » ١٩٧٥ ، دارت بين النقاد معركة حامية حول القضايا التي يعالجها الكاتب والتي تتسم بتعدد جوانبها وحدة المسائل المطروحة في وقتنا الراهن ٠

وما أقصوصة « انتظار » التي نوردها للكاتب هنا الآ مجموعة صفحات من عمل أدبي طويل نشر في كانون الثاني عام ١٩٧٥ في مجلة العالم الجديد ٠

ولا يزال الكاتب في قمة عطائه ، وقد قلد لقاء أعماله الادبية والاجتماعية وسام الاستحقاق والعديد من الميداليات ، وحاز على عدة جوائز ٠

هذه القصة حقيقية جرت حوادثها عام ١٩٤٥ في قرية فرنسية سأسميها « شارودي » رغم أن هذا ليس اسمها الحقيقي الذي لا يمكن ذكره لأسباب بديهية ٠

تبدأ القصة في القطار العائد من ألمانيا بالاسرى الفرنسيين ، انهم اثنا عشر رجلا في مقصورة أعدت لعشرة ٠ كان الزحام في المقصورة شديدا والاسرى منهوكي القوى ، وكانوا مع ذلك نشيطين سعداء ، فقد عرفوا أنهم ، أخيرا ، وبعد خمس سنوات من الغياب ، سيرون بلدهم وبيوتهم وأهلهم ٠ والصورة التي كانت تسيطر على فكر معظمهم ، خلال السفر ، كانت صورة المرأة ، فالجميع كانوا يفكرون بها بحب وأمل ، وبعضهم بقلق : أيجدونها كما كانت مخلصة ؟ ترى من رأت وماذا فعلت خلال هذه الوحدة ؟ هل من الممكن العودة الى الحياة المشتركة ؟ وكان من لهأولاد أقل قلقا ، فنساؤهم ستشغل بأبنائهم ووجود هؤلاء ومرحهم سيجعل الايام الاولى سهلة ٠

في زاوية من المقصورة ، جلس رجل طويل القامة ، نحيل ، وجهه محتدم وعيناه المتقدمتان أشبه بأعين الاسبان منها بأعين الفرنسيين، انه يدعى « رونو ليماري » وهو من بلدة « شرودي » في منطقة

« البيريفور » • وبينما القطار يغذ السير ويبرز صوت صفارته من وقت لآخر خلال الضجة الرتيبة للعجلات ، كان رونو يقول لجاره :

ـ هل أنت متزوج ياساتورنان ؟

ـ طبعا متزوج ، وقبل الحرب بعامين وقد رزقت بولدين • اسمها مارت ، هل لك أن تراها ؟

وأخرج ساتورنان ، ذلك الرجل قصير القامة ، المرح ، ذو الوجه الذي تراكمت عليه آثار الجراح ، أخرج من جيبه الداخلي محفظة وسخة ، وأشار الى صورة ممزقة •

قالَ رونو :

انها جميلة بحق ، اولست قلقا من عودتك ؟

ـ قلق ••• انني أطير من الفرح • ولِمَ القلق ؟

ـ لأنها جميلة ، هي وحيدة ، وهناك رجال كثيرون •••

ـ انك تثير ضحكي • انها لن تفكر أبدا بهم فقد كنا سعداء معاً • ماذا لو أطلعتك على الرسائل التي كتبتها منذ خمس سنوات ؟

ـ آه !•• الرسائل ، هذا لا يبرهن على شيء ، فأنا تلقيت رسائل جميلة ويعتريني القلق مع ذلك •

ـ أنت غير واثق من زوجتك •

ـ بلى ، على الاقل كنت كذلك ، وربما أكثر من أي شخص آخر فنحن متزوجان منذ ست سنوات ولم يعكر صفونا شيء ٠

ـ اذن ؟

ـ المسالة مسالة طبع ، ياصاح ، فأنا من الذين لا يمكنهم ان يؤمنوا بالسعادة أبدا ٠ كنت دائما أقول لنفسي أن « هيلين » طيبة جدا معي ، وجميلة جدا وذكية ، وهي مثقفة يمكنها عمل كل شيء ، فلا تكاد تلمس قطعة قماش حتى تصبح ثوبا ، واذا أثثت منزلا ريفيا صار الجنة ، وعندئذ أتابع مخاطبا نفسي : كان في بلدي خلال الحرب الكثير من اللاجئين ومنهم من هو أحسن حالا مني وربما كان هناك أجانب ، كالحلفاء مثلا ٠٠٠ واجمل امرأة في القرية قد استرعت انتباههم بكل تأكيد ٠

ـ ثم ماذا ؟ وان كانت تحبك ؟

ـ نعم ياصديقي ! ولكن هل تتصور معي أن تكون وحيدة خمس سنوات ؟

ان شارودي ليست بلدها انها بلدي وليس لها فيها أقارب، فالاغراء اذن شديد ٠

ـ انك تثير ضحكي ، فأنت سيء الظن ٠ وبعد ، افترض أن شيئا من هذا قد وقع ، ماذا تكون النتيجة ، اذا هي نسيت ذلك وكنت أنت

وحدك بالحسبان ؟ خذ حالي أنا : لو قيل لي أن مارت ... سأجيب لا أريد كلاما أكثر عن هذا بأنها زوجتي وكانت الحرب وكانت وحيدة ، الآن نحن في سلم وسنبدأ من الصفر .

فأجــاب رونـــو :

ـ أنا لست مثلك ، فاذا علمت في عودتي أن هنك شيئا ما ...

ـ ماذا ستفعل ؟ ستقتلها ؟ ان بك شيئا من الجنون .

ـ لا لن أزعجها في شيء ، حتى لو كان عتابا . سأختفي من حياتها سأعيش بعيدا تحت اسم مستعار سأترك لها المال والبيت ، فلست بحاجة الى شيء ، اذ أحسن حرفة وسأبدأ حياتي من جديد . هذا تصرف مغفل ولكنني خلقت كذلك : اما كل شيء واما لا شيء .

أطلقت القاطرة صفارتها وأبدلت خطوط سكة الحديد : ان القطار يدخل المحطة وصمت الرجلان .

□ □ □

كان مختار شاردوي معلم القرية أيضا ، انه رجل حمل الحذر مع عطف الأب . عندما تلقى ـ ذات صباح ـ اشعارا من الوزارة يعلن عودة « رونو » في العشرين من آب، في القطار المتجه نحو الجنوب الغربي، قرر أن يعلم زوجته بنفسه . وجدها تعمل في حديقتها التي جعلتها أشجار الورود المتسلقة على طرفي الباب أجمل حدائق القرية .

ـ أعرف جيداً ، ياسيدة ليماري ، أنك لست من النسوة اللواتي

يجب اعلامهن عن عودة أزواجهن لنوفر عليهن مفاجأة خطرة، واذا سمحت لنفسي فانني أقول لك : ان سمعتك وتحفظك نالا اعجاب الكل هنا ٠٠ وحتى الثرثارات لا يكنّ غالبا رحيمات مع غيرهن من النسوة لم يجدن ما يقلنه عنك ٠

قالت وهي تبتسم :

ـ يوجد دائما ما يقال ياسيدي المختار ٠

ـ فكرتُ في ذلك ، ياسيدتي ، فكرت في ذلك ، ولكنك تركتهم جميعا ״عزّلا تجاهك ٠ لا ، ان السبب الذي دفعني لاعلامك هو أولا أن اسمع مزاحك ، وأؤكد بانه يسرني ، ولأنك على ما أظن تريدين أن تهييء له استقبالا جميلا ، فانت مثلنا لا تأكلين الطعام الجيد دائما ولكن لمناسبة كهذه ٠٠٠

ـ ان لك حجتك دائما ياسيدي المختار ، وسأعد استقبالا حافلا لرونو ، قلت انه سيعود في العشرين ، في أي ساعة تظن أنه سيصل ؟

ـ الوزارة تقــول ان القطــار سيغادر باريــس في الساعة الثالثة والعشرين وقطاراتنا تسير ببطء ، كما يتحتم على « رونو » أن ينزل في « تيفيه » ليسير ٤ كيلو مترات راجلا ويمكنه أن يكون هنا اذا وصل مبكرا ، عند الظهر ٠

ـ أؤكد لك ياسيدي المختار أنه سيتناول غذاء أعد أحسن اعداد ٠

وأنا واثقة من أنك تفهم سبب عدم دعوتي لمشاركتنا ، ولكنني جد مقدرة لزيارتك ٠

ـ ان أهل شارودي يحبونك ياسيدة ليماري ، صحيح أنك لست من هذه القرية ، ولكننا نعتبرك ابنة لنا ٠

في صباح اليوم العشرين، استيقظت « هيلين ليماري » في السادسة وكانت لم تنم طيلة الليل ٠ فقد نظفت البيت ورتبته جميعه مساء الأمس : غسلت البلاط ولمعت السقف وأبدلت بأشرطة جديدة الاشرطة القديمة التي كانت تربط بها ستائر النوافذ ٠ ذهبت بعد ذلك الى حلاق شاردوي لتصفف شعرها عنده ٠ ونامت وقد ربطت شعرها بشبكة ليبقى على ما هو عليه حتى الصباح ، استعرضت ملابسها الداخلية واختارت بشغف الثوب الحريري الذي لم ترتده أبدا خلال وحدتها الطويلة ٠ أيّ ثوب ستلبس ؟ ان ماكان يفضله في الماضي كان ثوبا أزرق وأبيض محلى بزخارف لماعة ، جربته فلاحظت ، بضيق ، أن الحزام فضفاض حول جسمها الذي نحل بسبب التقتير ٠ لا ، انها ستلبس ثوبا أسود خاطته بنفسها وستحليه بعنق وحزام ملون ٠

قبل أن تحضر الطعام تذكرت ما كان يفضل ٠ كانت أشياء كثيرة مفقودة في فرنسا عام ١٩٤٥ حلويات الشوكولاتة بعد الطعام ؟ نعم ! ذلك ما كان يفضل ٠ ولكن الشوكولاة مفقودة : كانت تلك لحسن الحظ عدة بيضات طازجات بفضل اصطبلها الصغير ٠ كان « رونو » يقول

دائما : انها أفضل مَنْ صنع العجة • كان يحب اللحم الاحمر والبطاطا المقلية ، ولكن لحّام شاردوي قد أغلق محله منذ يومين • كان لديها فرخة ذبحتها في الليلة السابقة وشوتها • وبما أن جارة لها قد أكدت في المدينة الصغيرة القريبة بقالا يبيع الشوكولاة خفية ، صممت « هيلين » على الذهاب لشرائها •

قررت هيلين أن تذهب لشراء الشوكولاة وقالت في نفسها : اذا ذهبت في الثامنة عدت في التاسعة • لا ! لكن سأعد كل شيء قبل ذهابي حتى اذا! رجعت لن يكون علي "الا" عمل المطبخ •

وبالرغم من تأثرها فقد كانت فرحة بشكل رائع • كان الطقس جميلا ولم تكن شمس الصبح يوما فوق الوادي ، أكثر تألقا منها الآن •

أنـــدره مـــوروا André Maurois

ولد أندره موروا ، القاص والروائي الفرنسي ، في ٢٦ حزيران عام ١٨٨٥ في قرية اليبوف من مقاطعة النورماندي الفرنسية وتلقى تعليمه في مدارس مدينة روان على يد الفيلسوف آلان (ALAIN) وتأثر كثيرا بآرائه .

عمل ابان الحرب العالمية الاولى كضابط اتصال لدى القوات البريطانية وكتب عن تلك الفترة مجموعة من القصص من بينها .

« صمت العقيد برامل » ١٩١٨ Les Silences du Colonel Bramble

« خطب الدكتور اوغرادي » ١٩٢٢ Les Discours du Dr. O. Grady

كما ألف عام ١٩٢٦ « برناركيني » Bernard Quenney

وعام ١٩٣٢ « سلسلة العائلة » Le Cycle de la famille

وأحرزت قصته أقاليم (Cliuats) نجاحا كبيرا لدى الجماهير السينمائية.

اشتهر موروا أيضا ككاتب سير عظماء فقد كتب ترجمة لشيلي Shelley وأخرى « لدزارائيلي » وثالثة « لبايرون » كما كتب ترجمات عن حياة « بالزاك » ومارسيل بروست وجورج صاند وفيكتور هوغو ، وقد تجاوز موروا الادب ليكتب في مجالات أخرى فكتب مؤلفا في الاخلاق « حـــوارات حول القيـــادة » ١٩٢٤ Dialogues san le commandement

كما كتب في التاريخ « تاريخ انكلترة » ١٩٣٧ Histoir d'Angleterre

و « تاريخ الولايات المتحدة » ١٩٤٧ Histoire des Etats-Unis

وقد ظل كاتبنا عضوا في الاكاديمية الفرنسية منذ عام ١٩٣٨ حتى وفاته عام ١٩٦٧ .

* * *

الشيخ

ترجمة
د. أحمد العفري

قصة للكاتب الأكوادوري بيدرو خورخيه فيرا

بدأ كل شيء في الساعة العاشرة مساء ، وعلى وجه الدقة في العاشرة وثماني دقائق ، فقد ألقيت نظرة على ساعتي لدى سماعي أول طلقة •

طلقة بندقية بالطبع • جاءت من مكان بعيد ، من الطرف الآخر للمدينة • واهتز الناس الذين لم يعرفوا سبب ذلك • ودوّت طلقات جديدة ، وبعد قليل لعلعت أصوات الرشاشات •

سيطر الهلع على المارين القلائل في الشارع : ركض بعضهم خوفا ، واختبأ آخرون في باحات مداخل البيوت • وأطلت من النوافذ رؤوس فضولية مترددة •

كنت واقفا بجانب أحد الاعمدة ، وحرت في أمري ، ماذا أفعل • فأخرجني من ترددي شيخ مرّ بي وهو يعدو ويصيح بأعلى صوته •

– أخيرا ، اللعنة على أمهم ! أخيرا !

ركضت وراءه لكي أعرف ماذا يجري •

ـ ماذا حدث أيها السيد ؟

ـ لا أدري ، لا أدري ...

توقفت ، إذ أدركت أنه لا داعي للحاق به مادام يعرف قدر ما أعرف.

وتوقف الشيخ أيضاً . كان ضئيلا ، تحيط بوجهه المتجعد لحية تولستوئية ، والتمعت عيناه الحادتان بعنف .

ـ ماذا دهاك ؟ لماذا توقفت ؟

ـ ما دمت لا تعرف الى أين نذهب .

فزأر بنبرة تنمّ عن الاستخفاف :

ـ يا رجل ... اننا نذهب الى هناك ، حيث يلعلع الرصاص . ألا تسمعه ؟

استمر دوي الطلقات،وأصبحت الآن تُسمع من جزء المدينة الجنوبي.

ـ لكن ... من يقاتل ؟

فلوّح الشيخ بيده متبرماً .

ـ يا رجل ... الشعب يقاتل ! الامور واضحة ! لقد انتظرت هذه الساعة سنوات . ومنذ ستة شهور يقولون انها تقترب . ألم تلاحظ ذلك ؟ اذن ينقصك الحس ! أما أنا فقد شعرت بذلك في الهواء ، في

الرياح ، وجدته في ألوان الشمس . إنها أمائر تنبىء بأن ثورة الشعب قادمة . هل أنت بحاجة للمزيد من الايضاح ؟

وبرز من المنعطف مواطنون مسلحون ، ثلاثة رجال وفتاة واحدة . فتصدى لهم الشيخ :

ـ أين البنادق أيها الرفاق ؟

أجابه أحد الرجال :

ـ لا توجد بنادق أيها الجد !

مسح صاحبي بعصبية على لحيته ، واختفى الثوار بسرعة في العتمة . وقال :

ـ بدون سلاح لا يمكننا أن نفعل شيئاً . حسناً ! إذا فتشت عن السلاح فستعثر عليه . هيا لنسير* !

أمسك بيدي وجرّني معه . لم أقاوم . سرنا ، يقودنا دوي الطلقات ، دون أن ينظر أحدنا الى الآخر .

وأوضح الشيخ :

ـ في القتال هناك دوماً ما نساعد به . أن تعتني بجريح ، أن تقوم بدور المراسل . وتبقى أيضاً بنادق الذين يخرجون من صفوف القتال .

وما إن انعطفنا نحو اليمين ، ونحن نهتدي بأصوات الطلقات ، حتى

توقفنا ، كلانا في لحظة واحدة ، لأننا سمعنا هرجاً ومرجاً بالقرب منا ٠ ودون أن نبس بكلمة توجهنا نحو الاصوات ٠ وحالما صرنا وراء زاوية المنعطف شاهدنا حوالي مئة رجل وامرأة يتجمعون أمام مخزن عليه لافتة « لا لونا ـ مبيع وشراء » ٠

كانت الصفوف الامامية من المهاجمين المسلحين بقطع حديدية وعصي تضرب الباب بعنف ٠

وصاح رجل طويل القامة وصل يحمل قضيباً حديدياً ومبرداً :

ـ نظام ! أيها الشباب ٠ لن نفعل شيئاً بهذه الطريقة ٠ وشق طريقه ، وهو يدفع الجمع بحماس ٠ والتفت الى شابين قويين يحملان قضيبين حديديين :

ـ أنتما ستساعداني ٠

أثر طوله أو صوته أو أدواته في الناس٠ وهدأ الجميع وهم ينتظرون الرجل ومساعديه ٠

وصمت الناس خمس عشرة دقيقة ، عشرين دقيقة ، بينما كان الثلاثة يحطمون الأقفال ٠ وهمس الشيخ في أذني :

ـ من الواضح أن هذا الرجل قائد بالفطرة ٠ يعرف ماذا يفعل ٠ النظام ضروري في المعارك ، يجب أن لا يجري شيء على غير هدى ٠ لو أن الجمع استمر بالضرب لا على التعيين لما كان بالامكان تدبر أمر

هذا الحصن حتى بعد خمس ساعات . أما الآن ، هل ترى ؟ انتهى كلّ شيء !

عمّ الشارع صخب يعبر عن الغبطة . وفتح القائد العرضيّ في هذه اللحظة باب المخزن كما يفتح رئيس الكهنة أبواب المعبد .

أمرني الشيخ ، وهو يمسك بيدي :

ـ لننصرف !

ـ لا ! لنرَ ماذا سيحدث .

ألقى عليّ نظرة استياء .

ـ هذا لا يليق بنا . إنه نهب رغم أنه عادل . ان المخزن محل ترهن فيه الحاجيات ، حيث يسلم الفقراء أشياءهم لكي يشتروا الطعام أو ليداووا مرضاهم . وفي الاغلب لا يتمكنون من استعادة الاشياء المرهونة .

ـ لهذا بالذات لنرَ كيف يستعيد كل انسان ما يخصّه . إنه مظهر من مظاهر محاكم الشعب .

ـ نعم ، ولكن يليق بنا مكان آخر ، يجب أن نكون في قلب المعركة . انها تجري في منطقة المدينة الاولى . هناك « باستيل » بلادنا . وسيكون جميلا أن نشهد سقوطه لنسرع !

فأبيت :

ـ لا . هنا باستيل الربا . سأبقى هنا .

تردد الشيخ بين أن يتابع السير وحيداً، وبين أن ينتظرني . وفي هذه اللحظة بدأ المهاجمون يغادرون المخزن.كان كل منهم يحمل ما وصلت إليه يداه . وكانت امرأة بدينة تحمل رزمة من البطانيات . وفتى يرتدي سترتين ويضغط بولَهٍ العاشق طابتي كرة قدم . وخرج شاب وهو يدير لولب أربع ساعات وضعها على معصميه . وسقطت على الارض طنجرة من يد امرأة تحمل طفلا رضيعاً ، فبدأت تستجدي : « ناولوني إياها ، انني بحاجة اليها لزوجي المريض ! » . وكان رجل ضخم يحمل على ظهره ماكنة خياطة ، وهو يشتم : « كانت ماكنتي (سنجر) ، ولكنني لم أعثر عليها » ...

وجلس بالقرب منا على الرصيف فتى حافي القدمين ، وأخرج من علبة كرتون زوجاً من الاحذية في نفس اللحظة التي ظهرت فيها الدبابات . وتفرق الناس ، وقد استولى عليهم الرعب . ولكن الفتى لم يتحرك . وقلت له وأنا أركض :

ـ لنبتعد فقد جاءت الدبابات !

بدا وكأنه لم يسمعني . وعند المنعطف استدرت وذهلت عندما رأيت الشيخ يجلس القرفصاء بجانبه ، ويساعده في انتعال الحذاء ، بينما كانت الدبابات تتقدم حانقة . وأخذ الاثنان ، وقد بقيا وحيدين ، يعملان بسرعة حتى أفلحا أخيرا في تدبر أمر الحذاء . فانتصب الفتى وأخذ يخطو بصعوبة . ولم يتمكن من القيام بأكثر من بضع خطوات .

وفتحت الدبابة الاولى النار : هوى الشيخ والفتى على الرصيف • ووقف ضابط يحمل رشاشاً في يده أمام مدخل المخزن ، وأطلق على الناس القلائل الذين تأخروا ، ولم يتمكنوا من الفرار •

انتظرت مختبئاً في أحد المداخل رحيل الدبابات والجنود • وعندما عدت الى الضحيتين على الرصيف كان الفتى قد مات • ورفعت رأس الشيخ ، ففتح عينيه • أغلب الظن أنه عرفني • وهمس بصوت خافت :

ـ لم يصلحا له ••• الحذاءان اللعينان • لم يعثر على القياس المناسب •••

وانفرجت شفتاه عن ابتسامة حزينة قبل أن يسلم روحه •



تاكاساجو

مسرحية يابانية

ترجمة: جميل الضحاك

مقـــــدمة

تاكا ساجو هي كامي ـ ماي ـ مونو أي رقصة الرب وهي من مجموعة « وكي نوه » وهي مسرحيات تقدم في مناسبات سعيدة ، وتحتوي على الالحان الراقصة الفخمة وهي بقلم موتاكيو (١٣٦٣ ـ ١٤٤٣) الذي طورهذا الفن عن والده كيوتسو جو (١٣٣٣ـ١٣٨٤) ٠ عبارة نوه تعني الموهبة والمقدرة وعند زيمي تدل على نوع من المسرحيات الغنائية الانيقة التي تعتمد على الرقص والغناء وأشخاصها من الآلهة (كما في هذا المسرحية) أو من محاربين قدماء ٠

ان هـدف هـذا المسرح بالنسبة لزيمي هو تفتيح (أذن العقـل) بالتمثيل والمحاكاة البارعة وايقاظ العـواطف النبيلة لـدى الجمهـور بالرقص والغناء ، ولفت النظر الى الجمـال الرفيع الجمـال الهـادىء الحزين المبهم ٠

تاكا ساجاو هي أحسن مثال على هذا النوع من المسرح ، وهي أسطورة فيها سروتان توأمان : تاكاساجو وسميوشي ، وترمزان الى الاخلاص للحياة الزوجية سوميوشي الروح عبرت الجبال والبحار لتؤدي زيارة ليلية لتاكاساجو الزوج السروة االتي عاشت على شاطىء البحر في اقليم هاريما . ومع أن الشَّعر قد غدا مبيضّاً ، فان لروابط التي تربط الزوجي قد هزمت الزمن والمسافات ومنحتهما حيوية وجمالا دائمين . وفضلا عن كون المسرحية رمزا للاخلاص والاستمرار فانها تشير الى الشعر الياباني المحفوظ في ديواني " مونيوشو وكوكنشو المعروفين وأهميته في الدولة وهو أحد الوسائل التي تؤكد رفاه وقوة الامبراطورية .

في القسم الاول نجد لشيخين أو الشجيرتين التوأمين يجسدان الإلهين سيموشي وتاكاساجو وتيموشي وحده الذي يتجسد على شكل إله في القسم الثاني . وفي البدء يكون كهن شنتو ومرافقوه في طريقهم بحرا من كيوشي الى مياكو . ينزلون في خليج تاكاساجو لزيارة سروتيها الشهيرتين . كان الوقت مساء والفصل ربيعا ، وكان هناك شيخان يلملمان أوراق السروة الابرية ، ويطلب من لكاهن أرشداه الى السروتين التوأمين وسبب عنايتهما بهما . كان للحكاية عميق الاثر في نفس الكاهن فقرر زيارة سميوشي وسأل الرجل رجل المكان كيف الوصول إليها . استقل الكاهن قاربا الى سميوشي واثر وصوله لقيه شاب حسن المنظر نبيل المظهر . انه الإله إله المكان . وكانت أحاديث سارة .

خشبة المسرح :

خشبة المسرح مربعة بطول ١٩ قدما وخمسة انشات ، ترتفع عن الارض بمقدار ٢ قدم و٧ انشات • له ثلاثة جوانب • المقدمة الامامية ، المقدمة اليمينية والمقدمة اليسارية • وهناك أعمدة تحدد أماكن الممثلين على المسرح يلزمونها في تأدية رقصاتهم وتمثيل دورهم • فعمود واكي على اليمين ويجلس عنده أو يقف الواكي وهو الشخصية الثانية وعمود شايت في المقدمة اليسرى عند مدخل الجسر الى اليسار الخلفي حيث يلتقي الجسر بالخشبة • والجسر طريق طويلة تابع لخشبة المسرح ويصل بين الخشبة وغرفة الممثلين يخرجون منها الى الجسر الى المسرح ويوجد على الجسر ثلاث سروات اصطناعية كعلامات أمام الممثلين يهتدون بها وإلا لاقتهم صعوبة بسبب الاقنعة ، وكذلك يوجد على خشبة المسرح « عمود تثبيت النظر » لهذه الغاية •

خلافا للمسرحيات الكلاسيكية فان مسرح نوه يحد من استعمال القناع ويقصره على الممثل الرئيسي والممثلات والمسنين ولكن هناك ما يزيد على مائة نوع من الاقنعة بحسب الدور •

الممثلون :

شايت : هو الممثل والراقص والمغني الرئيسي يظهر بوجوه مختلفة وله مرافقون ويأتي بعده الواكي وله مرافقان • والمرافقون الى جانب مهامهم الاخرى يساعدون الممثلين في تغيير الملابس لانه يتم عند الجدار

الخلفي للمسرح وعلى مرأى من الجميع • أما الكورس فدوره كما في المسرحيات اليونانية ـ الغناء والتعليق والشرح • والجوقة • ودور الممثل يتغير عادة بين القسم الاول والثاني • الممثل في القسم الاول قد يصبح ممثلا ثانويا في القسم الثاني وهكذا •

الديكـــــور :

المسرح الياباني خال من كل زينة إلا الحائط الخشبي خلف المسرح مزين بصور سروات خضر وكذلك الستارة التي تفصل بين غرفة الممثلين وأول الجسر الذي يصل هذه الغرفة بالخشبة •

الموسيقى والاغاني :

دخول الممثلين الى الخشبة يترافق بموسيقى وبرقصات حسب ما يلزم: رقصات بطيئة أو سريعة وأغان ذات تعبيرات مختلفة فمثلا :

ايسي	: موسيقى دخول الشخصية الرئيسية « شايت » وهو
شيـداي	: رقصة الواكي الشخصية الثانية
	أغنية الكورس
جيدوري	: أغنية السفر
ميثي يوكي	: تشبه التراتيل
ساشي	: يغني دوره ويمثله
ايج اوتا	: أغنية بطبقات صوتية حادة
يج اوتا	: أغنية بطبقات صوتية منخفضة
كيوري	: موسيقى راقصة حيوية بايقاعات مختلفة

كيوس : أغنية يغنيها الكورس

ماشي اوناي : أغنية الانتظـار

كامي ماي : رقصة الرب

ريهـا : موسيقى افتتاحية

ونجي : أغنية حوارية

ثم ان لممثل الرئيسي يربز برجله على أرض المسرح ثلاث ربزات في نهاية المسرحية وهي علامة الانتهاء ويكون في هذا المكان تحت سقف المسرح تحت رجله طبلات فخارية تفيد في تضخيم الصوت واعطاء الصدى.

أشخاص المسرحية

توماناري : كاهن ضريح آسو (واكي)

مرافقاه (اثنان)

رجل عجوز : الشخصية الرئيسية في القسم الاول (شايت)

امرأة عجوز

ميو، رجل في المكان

(ميوجين) : الشخصية الرئيسية في القسم الثاني (شايت)

المكـان :

في القسم الاول : تاكا ساجو في اقليم هاريما

في القسم الثاني ساميوشي اقليم ستسو

الفصـل : الربيـع

القسم الاول

(بينما نعزف موسيقى البداية « شيداي » يتقدم الكاهن تموناري يتبعه تابعان يقفان مقابله،تموناري يرتدي لباس الرأس ورداء حريرياً (كيمونو) مخططاً وخراطة بيضاء فضفضة ومفتوحة ، والتابعان يرتديان لباسا مشابها) ،

تموناري والتابعان: اليوم نرتدي ثياب السفر
« شيداي » اليوم نرتدي ثياب السفر
طويلة رحلتنا ،

الكورس : اليوم نرتدي ثياب السفر
« جيدوري » طويلة رحلتنا ،

توماناري والتابعان : اليوم نرتدي ثياب السفر
اليوم نرتدي ثياب السفر
طويلة رحلتنا ،

توماناري : أنا توماناري كاهن مقام آسو في اقليم كيوشو ، لانني لم أر قط ساكو فقد عزمت أن أسافر هناك وسأغتنم الفرصة لزيارة شاطيء تاكاساجو في اقليم هاريما ،

توماناري والتابعان : الآن بثياب السفر
نستقل قارباً

نبدأ رحلتنا الى مياكو البعيدة
أنسام الربيع تملأ بطون أشرعتنا
نحدق أمامنا
نحدق خلفنـا
فلا نجد سوى الغيوم والبحر
ماكان بعيدا بعيدا
نراه يقتـرب
وأخيرا ... ها قد وصلنا تاكا ساجو

توماناري : على عجل نسافر .. ها قد وصلنا تاكاساجو لنتوقف قليلا ونستفهم عن المكان . يتحرك نحو عمود واكي(1)

التابعـان : كما تريد سيدي

٢

(بينما تبدأ موسيقى « إيس » نرى العجوز حاملة مكنستها يتبعها رجل عجوز بمعزقه يجمع الاوراق يظهر على طريق الجسر . المرأة تتوقف عند السروة الاولى والرجل عند الثالثة . المرأة تلبس قناعا وجه امرأة

---

(1) لكل مكانه على خشبة المسرح ، وهي على شكل مربع ولها طريق طويل على شكل جسر فيها ثلاث سروات اصطناعية وأعمدة كلها علامات لكي يقف الممثلون كل في مكانه ويهتدوا بالعلامات لانهم يلبسون الاقنعة .

عجوز وشعراً مستعاراً ذهبياً وكيمونو خارجيا تحته كيمونو آخر ورداء واسع الاكمام ، وخراطة فضفاضة مفتوحة) .

الرجل يلبس وجه شيخ وشعراً مستعراً وكيمونو داخلياً ورداء واسع الاكمام وخراطة فضفاضة مفتوحة) .

العجوزان « أسي » : أنسام الربيع تهب وتتهامس مع شجرة السرو في تاكا ساجو .

النهار أغلق الباب على نفسه

وهذه أجراس الهضبة تعلن قدوم الليل(١) .

المرأة العجوز : درات السديم تكتنف الموجات

العجوزان : التي تنبىء أصواتها عن مد وجزر

الرجل العجوز : « من ذاك على اليسار يبدو أنه يعرفني جيدا ؟ »

تتقدم المرأة الى وسط المسرح

ويتقدم الرجل الى مكانه «عمودشايت»

انها سروة تاكاساجو

مع أنها جليلة حقا

لكنها ليست صديقة أيامي الماضية(٢)

---

(١) العادة ان تقرع الاجراس في الليل تحذيرا للسكان ان يطفئوا النيران قبل النوم توقيا من الحرائق.
(٢) الشعر لـ ميرهي وارا وكيكاز (ديوان الكوكنشو).

العجوزان : سنون لا تحصى مرت
أرخت على راسينا وشاحاً ثلجياً
وكطائر مالك الحزين العجوز في صباح ربيعي صقيع
تحت ضوء القمر الشاحب
سنستفيق من على حصيرتنا على وشوشة شجرة السرو المألوفة.

نحن : نتواصل بقلبينا ـ وتتدفق أفكارنا أشعاراً.
« يج أوبا »
أنسام الشاطىء هي ضيفنا الوحيد
تهمس لشجرة السرو ومن الشجرة
تنهمر الاوراق الخالدة على أكمامنا
المكنسة في اليـد
لنكنســـها
لنكنســـها

نحن : وهنا في تاكاساجو
« ايج اوبا »
هنا في تاكاساجو
ويوماً عن يوم
تشيخ الشجرة وتكبر
ونحن من تحتها نكنس الاوراق المتساقطة
هل سنعيش لسنين كثيرة

كشجرة السرو العتيدة

في ايكي الشهيرة

في ايكي الشهيرة(١)

يتحرك الرجل الى منتصف الخشبة

والمرأة الى المقدمة اليمينية

(مكان الواكي)

٣

توماناري : اننا بانتظار أي قروي•انظر هناك امرأة ورجل عجوزان ينهض

عفوكما ••• عندي سؤال•

الرجل العجوز : هل تكلمني ؟ ـ ماذا تريد ؟

توماناري : أرجوك أخبرني عن سروة تاكاساجو

الرجل العجوز : هذه هي سروة تاكاساجو التي ترانا نكنس تحتها

توماناري : سروتا تاكاساجو وسيمونوشي : يقال انهما توأمان، فكيف يصح هذا وهما في مكانين مختلفين ؟

---

(١) شجرة ايكي حسب الاسطورة ـ زرعها الامبراطور جنكو في بداية القرن الثالث عند حملته على كوريا .

الرجل العجوز : أنت على حق . في مقدمة كوكنشو جاء مايلى : سروة تاكاساجو وسروة سيمينوشي توأمان ، أنا أتيت من سيمونوشي في اقليم ستسو وهذه المرأة من سكان تاكاساجو . اذا كنت تعلمين (ملتفتة الى المرأة) أي شيء عن هذه السروة فاخبري الكاهن.

توماناري : شيء غريب على ما يبدو

هذان الزوجان المعمران يسكنان في مكانين منفصلين ، هو في سيمونوي وهي في تاكاساجو أخبرانا أرجوكما كيف حصل هذا .

المرأة العجوز : كلامك غريب !

رغم أن أميالا من اليابسة ومن البحر تفصل بينهما

فن قلبي الزوجين يؤالفهما الحب

ولا تفصلهما المسافات

الرجل العجوز : ولتعلم

اذا كانت سروتا تاكاساجو وسميونوشي

رغم أنهما لا يخالجهما شعور

فانهما توأمين

فالاحرى نحن الاثنان

هذه المرأة العجوز وأنا ؟ من عدة سنوات

ومن سيموشي أجيء لكي أزورها
كتلك السروتين التوأمين
قد تقدمت بنا السنون
زوج وزوجة يجمعهما الحب

توماناري : كلماتك تدهشني كثيراً
فهلا أخبرتني بخبر هاتين السروتين السالف ؟

الرجل العجوز : طبقاً لما أخبرنا به سكان المكان
فانهما رمز للحكم الامبراطوري الميمون

المرأة العجوز : تاكاساجو في أيام ماسياشو الخالية

الرجل العجوز : سميوشي في عهد امبراطورنا االحاضر(١)

المرأة العجوز : والخضرة الدائمة للسروتين

الرجل العجوز : رمز من الشعر المزدهر ، الاثير لدى جلالته

توماناري : حكايتكما جد نبيلة
قد بددت كل شكوكي

الرجل العجوز : تحت أشعة الشمس الدفيئة جانب البحار

توماناري : في سيميونوي

(١) الامبراطور دياجو (٨٩٨ ــ ٩٣٠) وبامره جمع كوكنسو ديوان الشعر الياباني .

الرجل العجوز : في تاكا ساجو

توماناري : ترتدي السروات الخضر خضرة مدهامّة

الرجل العجوز : أيتها الايام الهينّة
من أيام الربيع

(بينما يبدأ الكورس ، تجلس
المرأة العجوز قبالتهم)

الكورس « ابج اوتا » : حين يخيم الهدوء على البحار الاربعة
ويعم العالمَ السلام
والانسام الرقيقة ، تكاد تحرك الاغصان
وفي عهد كهذا
فالسروتان اللتان ولدتا معا
تتقدمان بالسن معا
تبدوان سعيدتين في عهدنا هذا ،
عبثاً تجهد الكمات لتعبــر
عن مدى السعادة التي ظفر بها
كل من عاش في هذا العهد الميمون
كل من عاش في هذا العهد الميمون ،

(تموناري يجلس)

٤

توماتاري : زدني أرجوك عن سروة تاكاساجو المباركة

الكورس « كيودي » : يقول الناس ليس للاشجار والنبات أرواح
ومع ذلك ففي الفصل الملائم ترهر ثم تثمر
في شمس الربيع الدفيئة
والاغصان الجنوبية تتفتح قبلا

الرجل العجوز « ساشي » : لكن شجرة السرو
في كل أيا م السـنة
وللابد لا تتغير

الكورس : رغم أن الربيع يرحل والشتاء يجيء
فخضرتها تبقـى
بالثلج تزداد خضرة
« عشر مرات ستبرعم هذه السروة »(١)
هكذا قالت النبوءة •

الرجل العجوز : في هذا العهد الميمون

الكورس : هذه كلمات كالدرر ، كحبات الندى في الفجر
تستنير بها عقول شعبنا

---

(١) يقال أن السرو يبرعم كل عشرة آلاف سنة وهنا تعبير عن الرغبة في اطالة عمر العهد.

الرجل العجوز : وتوقظ لدى الجميع

الكورس : حب الشـعر

لانه كما كتب شونو(١)

« كيوس » « كل أصوات الطبيعة

مشحونة بالشعر

العشب والشجر

العشب والشجر ، التراب والرمال

حفيف الاشجار خرير المياه

كل واحدة منها تحتوي العالم فيها

غابات الربيع تنشط مع الريح الشرقية

حشرات في الخريف تصر في الاعشاب الندية

أليس كل منها قصيدة

غير أن السروة من بين الاشجار كافة

هي الاسـمى

لها طلعـة نبيلة

لا تتبدل على مر الايام

وخضرتها الدائمة

تبقى لالف سنة

---

(١) شاعر من القرن الحادي عشر والابيات الثمانية من مقالته حول الشعر .

وحسناً فعل جلالة الامبراطور شين(1)
حين خلع عليها رتبة رفيعة
وكما في بلادنا ففي بلدان أخر
يهب الناس لتكريم السرو

(ينهض وبيده المعزق)

الرجل العجوز : في تاكاساجو جرس أونو يقرع(2)

الكورس : هو الفجر والصقيع قاس
ومن ثم فان الاوراق الخضر لا تعاني من شيء
ونحن صباح مساء
نكنس الاوراق الابرية بعيداً

(العجوز يمثل بحركات وكأنه
يكنس الاوراق)

لكنها معين لا ينضب
ومن ثم تعود أكثر خضرة
من بين كل دائمات الخضرة

---

(1) يقال ان الامبراطور شين ٢٤٦ – ٢٠٧ ق.م صعد الجبال وعندما عاد نازلاً هبت عاصفة فاحتمى بشجرة السرو فنمت فروعها وصارت له ملجا فمنحها رتبة امبراطورية كمكافأة .

(2) من قصيدة لاونو ما ساتوزا تتضمن الاعتقاد السائد انه عندما يقع الصقيع فالاجراس تدق من ذاتها .

بوركت السروتان التوأمان
كرمز للعمر المديد
وكانت أهلا للثناء

٥

الكورس : حقاً ـ كالسروتين بشهرتهما القديمة
حقاً ـ كالسروتين بشهرتهما القديمة
قد عشتما • أستحلفكما حدثاني اذن
عن تاريخكما وعن الاسماء

العجوزان : لماذا لا نحكي كل شيء ؟
نحن روحي السروتين التوأمين في هيئة رجل وامرأته
سومينوي وتاكاساجو

الكورس : مدهش هذا السر
سر السروتين الشهيرتين

العجوزان : الاشجار والنباتات
رغم أنها ليست ذات روح

الكورس : ففي هذا العهد الميمون

العجوزان : حتى الارض وحتى العشب

الكورس : يشاركاننا الفخـــر

عيشوا بكل فخر واعتزاز تحت كنف السلام
والآن الى سيموشي أنا ذاهب
بانتظار مجيئكما ٠

(العجوز يمثل كمن يركب قاربا)
(العجوز يقترب من عمود شايـد.
ويخرج متبوعاً بالمرأة)

قال هذا واستقل قارب صيد
مربوطاً الى حافة اليابسة
ومع أول هبة ريح
انزلق على الماء بحفة
انزلق على الماء بخفة

فاصـــــل

(يأمر تومو ناري أحد تابعيه فيستدعي رجل المكان من مقعده على المسرح فيتقدم مرتدياً كامينو وروب وخراطة مفتوحة ٠ وجـوابـاً عـلى سؤال من تموناري يخبر قصة السروتين التوائم ويخرج بعد أن دعـاه ليأخذه معه الى سيميوشي) ٠

القسـم الثاني

١

(يتحرك التابعان للوسط ويقفان
مقابل تاموناري) ٠

تومانارى والتابعان : من شاطىء تاكاساجو ننطلق
وموسيقـا ناشرين قلوعنا
« مارشي اوتي » ناشرين قلوعنا
تحت ضوء القمر المتسلق قبة السماء
على المد الزاخر ننطلق
تاركين خلفنا جزيرة أواجي
ومارين بنارو النائيـة
الى ساامينوي ها قد وصلنا
الى سامينوي ها قد وصلنا

(يرجعون الى أماكنهم
ويجلسون) ٠

٢

(بينما تعزف موسيقى الدخول «ديها» نجد ميوجين كاهن سميوشي يتقدم على طريق الجسر يأخذ مكانه قرب السروة الاولى ٠ يلبس وجها

مستعارا لانسان من كانتان[1] وشعرا طويلا وتاجا مع كامينو من الحرير المخطط بالاحمر والابيض وخراطة مفتوحة) ·

ميوجين : « سنون كثيرة قد مضت
« ساشي » منذ أن رأيتها للمرة الاولى
سروة سيموشي جانب البحر
كم من الاعصر قد شهدت[2] »
« ألا تعرف الرباط بيننا ؟
وكيف أنه من زمن
حلت بركتي على البيت الامبراطوري[3] » ·
أنتم يا عازفي المعبد
دعوا الموسيقى المقدسة هذه الليلة تصدح
ودعوا الرقص والطبول
جميعاً تفرح قلبي

(مميوجين يرقص بينما تنشد الابيات التالية) ·

الكورس : من أمواج البحر الغربي

---

(١) انسان كانتان : نبيل حسن المظهر .

(٢) من قصيدة لاحد الاباطرة كان قد القها اثر زيارته لمعبد سيميوشي

(٣) من قصيدة لإله سيميوشي ــ حين ظهر ، كرد على قصيدة الامبراطور السابقة .

التي تضرب شاطىء أوكي ـ جا ـ هارا
قد انبثقت أنا الإله نفسه(١)
هذا هو الربيع وهذه ثلوجه الذائبة
تنحدر بخفة وبرشاقة على شاطىء آساكا

الكورس : عند الصخور حيث يجمع الناس أعشابا من البحر

ميوجين : قد أسندت ظهري الى جذع سروة قديمة

الكورس : وملأت كفي بألف سنة من الخضرة الدائمة

ميوجين : أقطف أغصان البرقوق
أصفف شعري

الكورس : بينما تتساقط التويجات البيض
كثلج الربيـع
على ردائي(٢)

(ويرقص ميوجين رقصة كامي ـ
ماي «رقصة الآلهة »

---

(١) من قصيدة لكانبنلو بناء على القول ان إيزا ناجي بعد رجوعه من زيارته للعالم السفلي طهّر نفسه في مياه البحر .

(٢) من شعر ناتشيانا ـ نو ـ أرتيمورا . (١٠١٣م)

٣

الكورس : أيهاذا الطيف المبارك
أيهاذا الطيف
تحت ضوء القمر الماتع
أمام معبد سيموشي هناك
الإله يرقص

الجلال يملأ قلوبنا
وللصبايا الراقصات
هرج يعلو ويأتينا جلياً
وأمواه الخليج
تعكس صورة سروة سميوني -
انها رقصة « البحر الازرق »(١)

الكورس : قويمة طريق الآلهة وأولي الامر فينا
وقويمة الطريق الى مياكو

ميوجين : الطريق التي يسلكها «العائد الى المدينة الامبراطورية»(٢)

الكورس : وهو كاس برداء السعد

---

(١) رقصة صينية او كورية الاصل كانت تقام في البلاط بالمناسبات .

(٢) وهي رقصة تقليدية .

ميوجين : رداء أومي[1]

أرواح رهيبة تندفع والادرع تمتد مفتوحة

الحياة والكنوز قد اجتمعت

والادرع انضمت

ورقصات « الالف خريف »[2]

تفرح قلوب الناس

« والعشرة آلاف سنة »[3]

تمدهم بحياة جديدة

والانسام تبث لواعجها للسروتين التوأمين

فتملأ بالفرحة كل القلوب

تملأ بالفرحة كل القلوب

(ميوجين يربز بقدمه مرتين

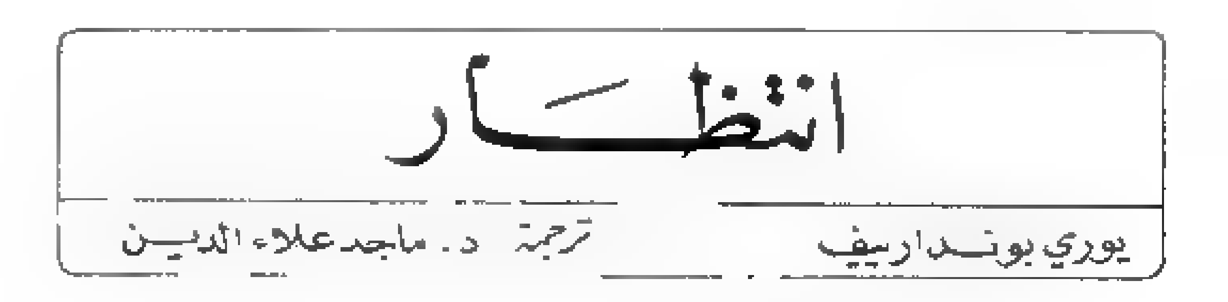
على خشبة المسرح علامة الانتهاء)

* * *

(١) رداء أبيض مزين برسوم خضر كان يرتديه راقصو البلاط والكهان في البلاط في مناسبات مهمة.

(٢) منظومات موسيقية راقصة كانت تقام في ١٠٦٩م.في مناسبات وطقوس تتعلق بالعرش الامبراطوري

(٣) رقصة تقليدية ترجع الى عهد الامبراطور وو (٦٢٣ — ٧٠٥) .



لم أستطع انوم كلياً، وكان المصباح الازرق الخفيف من فوقي يرسل ضوءه بهدوء ، وعربة القطار تهتز وهي تغدو قاطعة الطريق عبر الغابات التي تغمرها عتمة الشمال الحالكة. أما الصقيع فكان يرسل نسماته الباردة عبر شقوق الارض وكأنه يشد بفراشي تارة لليمين واخرى للشمال . ولقد شعرت بالحنين والبعد في هذه الحجرة الصغيرة التي تتسع لشخصين فقط ، وطال بي الملل حتى انني استعجلت القطار السريع ليسرع أكثر الى البيت .

فكرت بنفسي طويلا واستغربت : لقد قضيت مدة طويلة جداً وأنا أنتظر ذلك اليوم ، انتظرت كل دقيقة وحسبت الزمن بالثواني وطاردته بصبري الدائب ويطرح سؤال : ما الذي انتظرته ؟ والى أين كنت أستعجل الزمن ؟ والى أين أسرح يا ترى ؟ لقد استغربت كل هذا لدرجة استخفاف نفسي . ففي الشباب لم أحسب للزمن حسابا وكنت أشعر أن العالم من حولي سعيد بكل ما فيه ، أما الآن ، وأنا أعيش هذه الحياة

البصيئة لم أشعر فيها الا بساعات قلة بنوع من السعادة ، وكل ما تبقى مواصل زمنية طويلة لاهدف فيها ، ومسافات دون نهاية لانفع منها ، وترحال سريع بين موقف وآخر .

في الطفولة ، احببت أن يمر الزمن بسرعة لأستلم الهدية من والدي في عيد رأس السنة . وأستعجل الأيام والساعات نفارغ الصبر كي أراها وهي تسير في طريقها حاملة حقيبتها متبخترة بثوبها الشفاف وجوربها الابيض الناصع . لقد انتظرت هذه اللحظة التي تمر فيها ، ثم أختفي كالشمعة التي تذوب بسرعة ولم يبق معي سوى ابتسامة بسيطة لعاشق وهان . وكنت أشعر بسعادة وتلذذ لرؤية أنفها الشامخ ووجهها المرشوق بنمش قليل . وكانت عيناي تودعان بحب ناعم ضفيرتيها المنسابتين على ظهرها المشدود العامر . وكانت تلك الدقائق القصيرة هي كل ما في الحياة عندما كنا نلتقي في أيام الصبا . وأجمل الساعات تلك التي اجتمعنا فيها الى جانب المدفأه البحارية ، حيث تحسست دفء جسمها ، ونعومة وجهها ، وطيب القبلات مع تلك الشفتين الرطبتين المنتفختين ، واللتين لا ترتويان ... لقد كنا شابين في ريعن الصبا ودفئه ، تملؤنا القوة والحيوية ، لكنن غالبا ما كنا نذوب أمام تلك الرقة التي تعذب أجسادنا ، والتي تقتصر على حد معين . لقد تمتعنا في هذا العذاب رغم طوله وعرضه . لقد جلسنا سوية جانب بعضنا البعض ، فركبتاها جانب ركبتي . ضممتها الى صدري، وقبلتها بحرارة وهي بالمثل ، ونسينا البشرية ومن فيها . ووقفنا العديد

من المرات على السلم تحت ضوء المصباح الخفيف ، لكننا كنا نصل الى نقطة معينة ونشعر بالحياء يسيطر علينا بكل ما له من هيبة ·

انقشع الظلام ، وراح الضوء ينتشر من خلف المدفأة ، ووقفت الكواكب ومن ضمنها الارض عن الحركة · وامتنع الثلج عن السقوط فوق أزقة منطقة موسكتوريتشيا الساكنة ، والتي سحرها الهجر بطلعته · ثم عاد الثلج للسقوط ليغطي الارصفة والشوارع · وغابت الحياة عن الوجود ، وغاب الموت من قوانين الطبيعة لأننا لم نفكر الا بالحياة ، وسقط سلطان الزمان والمكان عن عرشه في نظرنا · لقد كنا نحتفظ بشيء خفي وأساسي منه تولد الحياة الاخرى والموت الآخر وهما مجردان كلياً عن مفاهيم الزمن وثمنه في القرن العشرين · وها نحن أولاء نعود معاً الى أغوار الماضي البعيد ، ونفتش فيه عن الهاوية السعيدة · عندما يحل الانسان على الارض في اللحظات الاولى لم يكن يعرف بالمحاكمات العقلانية ·· وفيما بعد لحظات الحب الاول التي تشد الرجل الى المرأة بقوة خفية ، وتتكشف لهما لحظات السعادة فتجرهما معاً الى الايمان بالخلود · وعلمت بعد فترة طويلة أن الحب بين الرجل والمرأة يجعل منهما الهين عظيمين تحت تأثير الحس الابداعي لكل منهما · وأدركت أن وجود إله الحب في العالم يجعل الانسان حاكما دون سلاح ، ومترفعاً عن سفاسف الامور ، وينسجم مع الطيب الخلاق للطبيعة ·

لا ، لم أفكر بهذا في ذلك الوقت · ولكنني أعرف جيدا أنه لو سئلت

أي شيء أحبذ أن أبقى معها على السلم عند المدخل وتحت ذاك المصباح الخافت لأسمع تنهداتها وأقبل شفتيها ، أو أن أقدم من عمري العديد من السنوات ؟ لاخترت ودون جدل الاول وبكل صدر رحب .

في بعض الاحيان تخطر ببالي فكرة ، بأن الحرب جعلتنا ننتظر مدة طويلة لا حدّ لها . ولكن بما أن حبنا كان مجرد علاقة حب غير مؤكد حتى النهاية كان علينا أن ننتظر فرصة اللقاء ، ورغم كل الحرائق وخطوط القتال المتعددة كان خيط أمل اللقاء يعبرها جميعها ، ولا بد في بيت ملؤه الدفء والحب سيتم لقاؤنا ، أو على ضفة نهر ، أو في أي مكان من الغابة ، كان يجب على لقائنا أن يتم . وطال الانتظار ونحن لا نزال تحت نيران المعركة ، وأرواحنا تحوم في ظل الموت الذي يخيم على الخنادق .

لقد نجحت ولأول مرة في حياتي بالتكلم هاتفيا مع أعز الناس ثم تحقيق اللقاء الذي طال انتظاري له . بعد الحديث وضعت السماعة (في البيت لم يكن أحد) وهتفت بسعادة في نفسي : « يا للشيطان ، جاءت الفرحة ! » قفزت ورقصت حول الهاتف كمن به مسّ من جنون . أخذت أمشي في الغرفة ذهابا وإيابا وأفرك كفاً بكف . وفعلا لو رآني أحد في هذه اللحظات لفكر بأنني قد فقدت عقلي . وكيف لي وهذه عتبة الحياة بالنسبة لي .

انتظرت أكثر من شهر لبلوغ قمة السعادة . أبى ذلك اليوم الذي

سأشعر فيه بأنني أسعد مخلوق على الارض ، ولو سألني أحد ، لو طلب مني منح قسط من حياتي لقرب الموعد ، لوافقت ودون تردد . انني مستعد لتذويب الزمن واختصاره على الارض ٠

وهل كنت ألاحظ سرعة الزمن الذي مرّ عليّ كالبرق سبقاً ؟

لا ! ولكنني الآن فقط وبعد أن اجتزت مرحلة الشباب وقطعت نصف قرن أصبحت أشعر بطول الزمن ، حتى انني لاأشتهي أية ساعة من حياتي لأعطي نفسي وروحي متعة كنت أحلم بها سابقا ٠ لماذا يا ترى؟ فهل أصبحت كهلا ؟ أم تعبت ؟ وهل شبعت من الحياة ؟

لا ٠ بل أصبحت أفكر بشكل آخر ، وأدركت أن الطريق الى السعادة يبدأ عند الانسان منذ ولادته وحتي موته ٠٠ ولذلك فان الوجود اليومي في الحياة هو عيد ٠ وهذه الافراح اليومية تسد عدسة العدم الحتمية ، ومالي الا أن أعترف في الاخير ٠ يجب على الانسان أن لا يستعجل الايام حتى يصل لى نوع من السعادة المؤقتة ، فان الحياة تعطى مرة واحدة كاجمل هدية ، فما بالنا نختصرها ؟!



قصتان من بورما * ترجمة: براهيم الجرادي

أوّل يوم بعد العرس
قصة: تـادو

لكلٍّ قسمته
قصة: سون تايا

اول يـوم بعـد العـرس

قصة : تادو

- ولد تادو (اسمه الحقيقي : و بخي نان) في عم ١٩١٨ ·
- شارك بفعالية في حركة التحرر الوطني في الثلاثينات ·
- بدأ الكتابة بعد الحرب ، وأصدر مجلة « تيسا » ·
- حز على جائزة جمعية المترجمين عن عام ١٩٥١ ·
- يعمل ، الآن ، في السينما كمخرج وككاتب سيناريو ·

تسألون : أي عائلة في جنة المحبة والاغنياء « الوادي الذهبي »* أكثر يسراً وسعادة · سيحيكم الجميع بصوت و حد :

---

* الوادي الذهبي ــ شارع في مركز رانغون .

طبعاً ، الزوجان ماونغ تخيين تخون وتين تين حلاين إلا أن هذا لا يلغي أنهما منذ أن حلا" في هذا المكان تعرضا لحادثة مزعجة ٠

أنا والقارىء سنتعرف على شابين قبل زواجهما ٠ منذ وقت قصير خطبا لبعض ، وهما يتهيئان ، الآن ، للعرس ٠

ـ حبيبي ، أنا أعرف أنك تحبني ٠ ولكن ٠٠ هل سيستمر هذا الحب طويلا ؟

حاولت تين الاكتشاف وهي تنظر الى خطيبها برقة ٠

ـ تين ، ياغاليتي ، انني أشعر بالمرارة ، أشعر بالألم كيف تستطيعين الشك في انني أحبك مدى الحياة ٠ قالها وعيناه الكبيرتان المعبرتان تنظران الى الفتاة بعتاب٠إلا أن تهدئة تين لم تكن أمراًهيناً٠

لا تغضب يا عزيزي ، فأنا لا أستطيع أن أبعد عن ذهني فكرة ، انني لست ملائمة لك ، وهذا ما يقلقني جداً ٠

ـ إن هذا بالذات ، يا حبيبتي ، ما يجعلني أراك غالية ٠ ان أناس المحيط الواحد ، المستقلين ، المعتمدين على أنفسهم ، يسهل جداً انفصالهم ، اذا كانوا ، لنقل ، لا يتفقون في الطباع ، أو ، لنقل في المعتقدات ٠ ولكنني ، في الحقيقة ، لا أرى في ذلك تراجيديا كبيرة ، لا سيما وأن الامور عندما تجري على نحو آخر ٠ فأنا أحب فتاة أفقر مني وهي لا تنتمي لطبقتي ٠ كيف يمكنني ، في هذه الحالة هجرها ؟

ـ هل أنت ، حقيقة تفكر هكذا ؟

ـ إيه ، اذا كنت ترغبين سأقسم لك ؟

ورغم كل ذلك ، كان الشب يشعر أنه يتحدث بثقة ضعيفة ، وشكوك تين تكدر صفوه على الدوام •

ـ آخ ياعزيزتي ـ تنهد وهو يمسح راحتيه ، وكأنه يفكر بصوت مسموع ـ ، ها انذا أقسم لك ، الآن ، بالحب المقدس ، ولو أن هذا في أيامنا مجرد كلام ، حتى أن بعضهم يقسم بالآثار المقدسة وبعد ذلك••• وبعد ذلك يتغير كل شيء • حتى الانسان يتغير • أليس كذلك يا تين•••؟

لقد أحلت هذه الاحاديث بتوزن الفتاة المسكينة •

ـ ولهذا السبب تتأكلني الشكوك •

قالتها تين بصوت باك •

لقد عرف تخيين حينئذ انه تعثر في الوصول الى هدفه ، ولذا قرر ان يقنع تين بحدة •

ـ ولكن ، تصوري ، انني تزوجت فتاة غنية ، واتضح لي بعد ذلك اننا مختلفان ، تماماً ، ويترتب علينا الطلاق ، لكنت أقدمت على ذلك ، دون أن أشعر بأي توبيخ للضمير • ولكن من المستحيل أن أقدم على ذلك معك الآن •

ـ وماهو السبب يا حبيبي ؟

ـ انت ، يا تين ، من عائلة غير غنية وما من أحد سواي يرعاك • تخيّلي ، اننا قررنا الطلاق ، ولو بسبب اننا نفكر ونشعر بطريقة مختلفة ، هل سأكون محقاً ؟ وماذا سيفكر الناس ؟ « انها فقيرة ، ولذلك تعامل معها هكذا : قطع الوردة وألقاها »

ـ هذا يعني ، ان عدم هجرك لي ليس بسبب الحب •

وبمكر ابتسمت تين •

ـ لا تلاحقيني على الكلمة يا عزيزتي ! أنا أريد أن نكون معاً الى الابد ، وأن لا نفترق بعد اليوم •

وأخيرا ، جاء اليوم الموعود ، وكان العرس ، كما يقال ، مهيباً • ولأن الخطيب يشغل منصباً جيداً في معمل لنسيج كبير ، أثار عروسه اهتماما واسعا ، فالمدعوون كثيرون ، وأهل العروسين « اندوشوا » تماما •

وعندما انتهت المراسم في آخر اليوم ، قال والد تخيين تخون للعريسين :

ـ لقد تعبتما جداً ، بالتأكيد ، يا ولدي • اذهبا ، اذن ، الى بيتكما • ولا تنتظرانا ، فنحن سنتأخر قليلا بالطبع •

اكملت الأم •

وعند مدخل فندق اينيا ـ ليبيك* أقلعت سيارة فيات ، وتحركت باتجاه « الوادي الاخضر » ، حيث توقفت بعد حين أمام منزل جميل تحيط به حديقة •

القاريء ـ بالتأكيد ـ يخمن ، الآن ، من جاء بالسيارة •

فرر العروسان حال وصولهما الى البيت فك هدايا العرس ، حيث اخذت تين قراءة أسماء المرسلين أما تخيين تخون فقد أخذ يكتب الاسماء في دفتر خاص ، لان عليهما أن يكتبا رسائل شكر للمرسلين • لقد تسلما عدداً من الهدايا لا يحصى •

ـ انظر يا عزيزي •

صاحت تين ، فجأة ، وهي تخرج من مظروف « رسالة » وورقتين سماويتين • دفعت بهما الى زوجها الذي أخذ يقرأ :

« أيها الصديقان العزيزان

لقد فكرت طويلا فيما أهديه اليكما في عرسكما • ولأنني ، للأسف ، لست غنيا ، فان الهدية الثمينة ليست بمقدوري •

انني واياك يانخيين تخون لسنا إلا رفاق دراسة ، ولكنني أحبك كأخي ، ولهذا اريد أن تبقى هديتي في ذاكرتك مدى الحياة • أرسل

---

* يقوم فندق اينيا ـ ليبك في رانغون على ضفة بحيرة تحمل الاسم نفسه .

لكما بطاقتي سينما ، وربما ، لهذا ستندهشان ، لا سيما اذا كانتا لا تساويان سوى « دجا » ، ولكنني آمل أن تتحول هذه السبعة الى سبعين ، الى عوائل ،وربما الى سبعة آلاف ٠٠٠ انني أرجوكما بحرارة أن تشاهدا فيلم تادو أول يوم بعد العرس ، لأن تادو متخصص في القضايا العائلية ، وفي الفيلم تجدان أكثر الافكار عصرية عن الزواج والعائلة ٠

ربما رأيتم الفيلم من قبل ، أو أنكما في شغل عن الافلام ٠ ولكن مع ذلك أرجوكما بحرارة :

شاهدا الفيلم !

فأنتما ، الآن ، مقبلان على قران ، ولربما تفهمانه بشكل آخر ٠

أوقف تفيين تخون القراءة وفكر ٠

ـ من يمكن أن يكون هذا ؟

سألت الزوجة

ـ لا أملك تصوراً !

قالها وهو يبرم البطاقات في يديه ٠

ـ إنه لمؤثر أن يبعث الينا بهدية ٠

تفوهت تين وهي تكمل قراءة الرسالة ٠

كانا يفكران وبآلية ينظران الى الورقة ، وفجأة ، وكان إلهاما استيقظ في رأسها :

ـ قل لي ، وهذا الخط أليس معروفاً لديك ؟

ـ أرني ! انه على الارجح ، يشبه خط باوشاونا ٠

ـ همس لزوج ، وهو ينظر الرسالة بانتباه ـ إنه ، دائماً ، يتميز بالغرابة ٠

ـ وهل كان في حفل الزفاف ؟

ـ لا أعرف ٠ في الحفل لم أر غير خطيبته !

ـ انت تمزح ! ـ وتألقت من فرحها تين ـ ولكن الهدية ، فعلا ، غريبة ٠ واختيار الفيلم ، أيضاً ، حتى أن يوم العرض يتطابق !

ضم تخيين تخون زوجته ، ونظر في عينيها ، وسأل :

ـ بماذا تفكرين يا عزيزتي ؟

ـ تصور أن الفيلم يسمى « أول يوم بعد العرس » والبطاقتان ليوم غد ٠٠

وصمتت تين مبتسمة ٠

ـ فعلا ، غداً هو أول يوم بعد عرسنا ! انه لأمر غريب جداً ورغم كل شيء توجه العروسان في اليوم التالي الى دار السينما ٠

أظلمت .

وغاب البيت في العتمة ، إلا أن خيطاً رفيعاً في الضوء كان يظهر في النوافذ المظلمة ، وكأن ، هناك ، من يسجول في الغرف مع مصباح يدوي.

حلّ منتصف الليل . ولم يعد العروسان بعد .

من المحتمل انهما ذهبا ، بعد الفيلم ، لتناول العشاء في مطعم . ولكنهما آخر الأمر عادا .

قفز العريس من السيارة ، وساعد زوجته على الخروج . ودخل واياها البيت متأبطاً ذراعها . وواحدة تلو الاخرى أضيئت النوافذ نوافذ الصالون ، نوافذ غرفة الضيوف ، ونوافذ غرفة النوم .

قتربت تين من الخزانة الزجاجية ، وفتحت أبوابها . تجمدت فاغرة فاها . ولهول ما رأت لم تستطع النهوض . كانت الخزانة الكبيرة التي جمعا فيها البارحة هدايا العرس فارغة تماما . لان ما كان فيها من أشيء يساوي ، على أقل تقدير ، ألف وخمسمائة دجا !

أخذ تخيين تخون يهدىء زوجته وكان مبهوتاً مثلها . وعندما عاد العروسن الى نفسهما قليلا ، توجه العريس الى خزانة ثيابه ، وفتح جميع أدراجها ، الواحد تلو الآخر ، تأكد أنها جميعا فارغة .

وفي الوقت نفسه كانت تين تنظر علاّقة ثيابها ، حيث لم تجد شيئا عليها ، البتة سوى ورقة تقول :

« أصدقائي !

لعلكم تتساءلون ، الآن ، عمن أرسل اليكم البطافيس ؟

مع الشكر

ضيف الليل

لكـل قسـمتـه

قصة : ماون تايا

- ماون تايا ــ ممثل موهوب للجيل الثاني من الكتاب البورميين .
- حاز على جائزة افضل رواية لعام ١٩٦٩ .

من أين جاء ، لا أدري . ولا أين ذهب . لا أدري .

كل ما نعرف ، انه كان بيننا ، قبل حين ، وفجأة ، لم يعد . هكذا في رمشة عين .

طار الغصنُ عن جذعه

قد تعرف نجوم السماء السر ؟

ولكن النجوم اختفت خلف الغيوم ، غبت عن العين ، وغاب معها السر عن الناس .

ولكن النجوم كانت تشع بقوة ليلة البارحة .

ولكنها قد لا تكون نجوما ؟ انني لا أذكر شيئاً ، ولا أعرف شيئاً .

لقد ولد البارحة وفجأة مات . حتى انهم لم يجدوا وقتاً لاعطائه اسماً ، اويلبسوه الثياب التي أعدتها له أمه بعناية ، أمه التي لم يلمس صدرها سوى مرة واحدة .. حتى البيت الذي كان يمكن أن يعيش فيه حددوه له ، والمدرسة التي كان يمكن أن يتعلم فيها ، كانت بانتظاره ، أيضاً ، وكان بامكانه العثور على الفتاة التي ستصبح زوجته .

لماذا ، اذن ، كان الموت يتهيأ له بدل الحياة ؟

ان طريقه من الولادة الى الموت كان قصيراً ، كأنه دفقة ضوء غمرت في مكان ما من الليل ..

ماذا نفعل ، ونحن من لا يستطيع تقصير الحياة أو تطويلها ، لأن لكل ما قسمته المكتوبة .

ممن يستطيع ، في هذه الحال ، تبليغ (ماتخ) بالمصيبة التي حلت بها ؟

ان زوجها نفسه لم يستطع ذلك ، لأن زوجته تعز عليه ! لذلك ظل متماسكاً جداً ، ولم يذرف دمعة واحدة .

لقد قرر أن يخفي الحقيقة عن (ماتخا) ولو لوقت قصير .

□ □ □

لولا أن الطفل لم يمت ، لكان بانتظاره مصير محزن . فقد ولد وقلبه مريض .

وما أن ظهر للوجود حتى بدا كليلاً ، فصدره يرتفع بصعوبة ، وضغطه ينبض بغير انتظام ، وجلده كان أزرق اللون .

لقد كان الموت بالنسبة اليه خلاصاً .

مات دون أن يعرف شيئاً من التعلق أو الحب أو العذاب . ولهذا كان سيان لديه الموت أو الحياة .

أما القضية الأخرى فقد كانت الأم ، فلقد مرّ على زواجها ثمانية أعوام دون أن ترزق طفلاً .. راجعت الاطباء والسحرة وتناولت الادوية والاعشاب المختلفة ، وكل ذلك لم ينفعها بشيء . وأخيراً شعرت بأنها حامل في وليدها البكر .

« هل من المعقول أن ألد طفلاً ؟ »

فكرت (ماتخا) بذلك ، خشية الاستسلام للسعادة .

لقد أصبح تفكيرها منصباً على الوليد . وهاهي ، الآن ، تشاور الأطباء وتنفذ وصاياهم بهمة ، تذهب الى المستشفى كل أسبوع .. أقلعت عن لبس الاحذية ذات الكعب العالي خوف الانزلاق ، حرمت نفسها من طيب الاطعمة ، التي كانت تتصور أنها مضرة للطفل ، وأصبحت تراقب نفسها في الليل ، أيضاً ، تغير وضيعة نومها ، على

الدوام ، وخصوصاً بعد أن هجرت سريرها الهزاز ، كل ذلك ، مراعاة لخاصرتها التي قد تتعب ·

□ □ □

أغلب النساء يعملن · فان لم يكنّ موظفات ، فانهن ، على الغالب، يمارسن الاعمال المنزلية : يطبخن ، ينظفن ، يغسلن ، إلا (ماتخا) فانها لم تعرف العمل ، فقد كانت لها ، وهي التي تعيش في كفاية ، خادمة ، وأوضاعها المدية تسمح لها الولادة في مستشفى خاص لكنها وسبب ما ، كانت تثق بالمستشفى العام ، ولهذا أخذها زوجها اليه عندما اقتر بوقت الولادة ·

امراة مدللة متأنقة ·

لقد اكتمل تماماً حمل (ماتخا)، هنا، وأصبحت قصيرة للغاية ، وصارت تأكل من طعام المستشفى غير اللذيذ بلذة ، ولم تكن ترفض الخضروات غير الطازجة التي لم تكن تعطيها حتى للخادمة ·

ان ولادتها لم تكن سهلة · فهي ، في الحقيقة ، لم تعرف ألماً قوياً في حياتها كهذا الذي عرفته ، فلقد غطاها العرق ، ومن وقت لآخر ، كانت وكأنها ستفقد الوعي ، ومع كل ذلك ، لم تلعن (ماتخا) الزوج، ولم تستعن بوالدتها ككثير من النساء الراقدات حولها · كانت تغالب وهي تصر أسنانها ، وبصمت كانت تكابد آلام الولادة، الدموع المنبجسة من العينين كانت ، وحدها تشهد على صعوبة ما تمر به ·

ان (ماتخا) تعلم أن زوجها في مكان قريب منه ، ولهذا تتأسف ، لأنها لا تستطيع في هذه اللحظة ، أن تمسك بيده لعل ذلك يخفف عنها • ولكن لا يهم، فقد هيأت نفسها للأسوأ ، حتى للموت ، دون أن تشعر بالخوف • نعم •• لقد حاولت (ماتخا) ، في البداية ، أن تفكر بزوجها ولكن الالم الذي طغى بعد ذلك ، جعل الافكار تطير من رأسها حيث غامت عيناها ، وبدأت وكأنها تسير إلى مكانٍ ما مجهول • وعندما هدأ الألم قليلا ، استحوذت الغيبوبة على المرأة المعذبة ، وهكذا ، وبعد معاناة طويلة ولدت (ماتخا) طفلها ، وصارت تغمض عينيها بهدوءٍ وسعادة •

آه ، مَنْ لديه القدرة ليخبر الام عن موت طفلها ! •

في هذا الوقت ، كانت ترقد بجانب (ماتخا) امرأة بياعة ، تظن (ماتخا) أن حياتها صعبة ، ففي هذا الصباح بالذات ، كانت هذه المرأة تعرض بضاعتها في « البازار »، وما أن شعرت بآلام المخاض ، حتى أودعت بضاعتها عند أحد الباعة المتجولين، ورجته أن يوصل للبيت حصيلة اليوم ، وتوجهت وحيدة للمستشفى ، دون أن تذهب للطبيب ، الذي لم تزره ولو مرة واحدة كل فترة الحمل • وكانت تحمل بعض « الغيارات »، وخمسين « بيا » من النقود ، ولم تهتم بالثياب النظيفة أو المنشفة •

« يجب أن أقول لزوجي ، بأن يجلب لهذه المرأة الفقيرة بعضاً من ثيابي القديمة » بهذا كانت « ماتخا » تفكر ، في الوقت الذي لم تقلق

البيئاعة لذلك ولو قليلا · ومما زاد في دهشة (ماتحا) أن زوج المرأة أو أحداً من أقاربها لم يزرها ولا مرة واحدة ، بل انها لم تنتظر حضورهم اطلاقاً ، فلقد تركت أولادها الخمسة في البيت في رعاية أقاربهم ، وتعرف أن زوجها الحلاق لا يستطيع ترك عمله · وهاهي ، الآن ، ترتاح قليلا في المستشفى ، فالأكل فيه أفضل مما هو عليه في البيت ·· ولذا ، لا لزوم لحضور أحد منهم ، خاصة وأن المجيء يكلف « دجا » بالتمام ·

على العموم ، كانوا يعيشون هكذا ، على الدوام ، قلما قلق بعضهم على بعض ، ومع ذلك ولد الطفل معافى ، ممتلىء الجسم ، وبعد يومين من ولادته خرجت المرأة من المستشفى وهي تضم الصغير الى صدرها ، وقبل الخروج لم تنس خلع روب المستشفى · حيث تناولت من تحت وسادتها تنورتها القديمة لترتديها · ولأنها لم تكن تملك ما تدفعه ثمناً للغسيل ، فقد كانت التنورة وسخة ، ولانها لم تجد ما تلف به الطفل ، فقد عطته بكنزتها ، الا أن (ماتخا) لم تنس أن تقدم لها في هذا الوقت قماطاً ، بينما ضيفتها الجارة الاخرى قهوة وكعكا مما جلبه لها الاهل ، وأعطتها ، أيضا ، عند الوداع « دجا » من أجل أن تذهب الى البيت في الباص ·

في رؤية الغرفة ، حيث كانت (ماتخا)، هناك امرأة لم يزرها زوجها ولا مرة ، ولذا كانت تبكي دائما · ·ان زوجها طبيب* وهي ممرضة ، وهذا ما جعل (ماتخا) تستغرب من عدم زيارته لزوجته ، وكانت بها رغبة للسؤال ولكنها لم تفعل ·

ذات مرة ، زار المرأة الجيران ، جلبوا لها كعكاً وحفنة من النقود (٤٠٠ دحا) ، وأخبروها أن زوجها لا يريد طفلا ، عليها ، اذن ، أن تترك الوليد في المستشفى والا فهو لن يستقبلها في البيت • وعندما حان وقت الخروج من المستشفى لم تعرف المرأة المسكينة ماذا ستفعل •

« اذا تركت الوليد ، هنا ، فيسلموه ، لدار الايتام ، وقد يقع بيدي أزواج لا ينجبون ، عندئذٍ لن يعرف أمه ، كما انهم لن يخبروني عمن أخذه »• كانت المرأة تفكر بذلك عندما وقع نظرها على (ماتخا) ، المرأة الغنية التي سمعت بموت طفلها ، ولم يخبرها أحد بذلك • وعلى الرغم من معرفة المرأة بأن اعطاء طفل بشكلٍ غير قانوني محرم ، فقد قدمت طفلها (لماتخا) •

* * *

مِن شعـر يُوردان ميـليف

ترجمة : ميخائيـل عيـد

يوردان ميليف شاعر بلغاري معروف واسع الثقافة ومتعدد انواع النشاط الادبي . فهو يكتب الشعر والمقالة والقصة الموجهة للاطفال كما يسهم بنشاط كبير في الترجمة شعرا الى اللغة البلغارية. وهو متأثر بالثقافات الشرقية اضافة الى المامه الواسع بتراث شعبه الثقافي وتراث غيره من الشعوب الاوروبية .

اسهم يوردان ميليف في ترجمة مختارات من شعر عمر الخيام ونظامي وغيرهما من شعراء آسيا الوسطى البارزين ويعمل حاليا بنشاط في ترجمة مختارات من خمريات الشاعر العربي الكبير ابي نواس ماتعاون مع المستعربين البلغار .

يوردان ميليف من مواليد ١٩٢٣ .. وقد زار قطرنا العربي السوري في الشهر الثاني عشر من عام ١٩٧٧ والتقى بالعديد من كتاب القطر وشعرائه . وعاد الى صوفيا ليبادر الى ترجمة عدة قصائد مختارة من الشعر العربي السوري المعاصر وقد صدر بعضها في ملف خاص في مجلة «المعاصر» البلمارية وهي من اهم المجلات الادبية ، كما سيصدر بعضها الآخر تباعا في الصحف والمجلات .

يتميز شعره بغنائية عذبة وشفافية صافية وبالعمق .

قصيـدة شـرقيـة

« الى بوجيدار بوجيلوف »

واحـة في قفـر

زهـرة نـادرة

بيضاء كالبرق قبيل الرعد

عاشت في زمن ما

عبر القرون

الحسناء بيبي خانم

أجمل نساء تيمور !

□ □ □

وحين مضى قائد الكتائب العظيم

بجيشه اللجب

باحثاً عن ذهب الهند

قررت أن تخلد جمالها

في جامع ضخم

يشاد على تل افروسياب *

توافد أشهر البنائين

الى هناك

وراحوا أثناء الليل والنهار

يبنون فكرة مهندس معمار شاب

ستتعرفون اليه جيداً

في خاتمة القصيدة

□ □ □

واحة في قفر

زهرة نادرة

بيضاء كالبرق قبيل الرعد

عاشت في زمن ما

عبر القرون

الحسناء بيبسي خانم

- هل اكتمل الجامع

أيها الفنان الشاب ؟

طرحت عليه هذا السؤال

حين أحست

أن تيمور يقترب بجنوده

من أسوار سمرقند

وابتسم الذي وجهت اليه السؤال

بدهاء

ثم أجاب :

- لم يبق سوى القوس المركزي

وسيكتمل في اللحظة

التي ستسمحين لي فيها

بتقبيل أجمل امرأة

في العالم

□ □ □

كانت مغرمة جداً

بزوجها القبيح

فظلت بيبي خانم طويلاً

ترجو الفنان

ألا يطلب هذا .

جميـع النسـاء سـواء !

ولكـي تقنعـه

حملت اليـه طبقـاً

عليـه بيـض

باصبـاغ متنوعـة

واجبرتـه

عـلى كسـر بيضتـين

□ □ □

وجوابـاً عـلى ذلـك

اعطاهـا كأسـين

في احداهمـا « عـرق »

وفي الأخـرى مـاء

وقـال :

ـ وهاتـان الكأسـان

متماثلتـان شـكلا

ولكن لهما طعمين مختلفين

ومن ثم صمت

فوضعت يدها على وجهه

ولكن قبلته كانت حارة

بحيث تركت على شفتيها القرمزيتين

ندبة قاتمة

□ □ □

واحة في قفر

زهرة نادرة

بيضاء كالبرق قبيل الرعد

عاشت في زمن ما

عبر القرون

الحسناء بيبي خانم

□ □ □

ـ هل أعجبك الجامع

يا تيمـــور ؟

وقــف طويــلا' باعجــاب

أمام الجامع وأمام زوجته

دون أن يجــد الكلمــات

التي توفـي جمالهمــا حقــه ،

كانــت القبــة فريـــدة

لولا قبـــة السماء

وكـان القـوس فريـداً

لو لم يكــن درب المجرة

عــلى شــاكلتــه ،

□ □ □

وضايقـــه

صمـت زوجتــه

غـــير المعتـــاد ..

استدار نحـــوهـــا

واكتشف نظـره الضيق الثاقب

ظلاً غريبـاً

فوق شفتيها القرمزيتين ..

وغضب غضبـاً لا حـدود له

فاندفع عـدد لا حصر له من الحرس

مقتفـين آثـار

الفاعـل

الـذي تسـلق

احـدى أكثر المـآذن

ارتفاعـاً .

ولم يعثـروا

عـلى أي أثـر

للفنـان الشـاب .

□ □ □

لم يكـن هنــاك

سـوى تلميـذه الخائـف

الذي قال قبل أن يمـوت :

لقـد صنـع معلمـي أجنحـة

وطـــار

عــبر زمـان الاسـاطير

□ □ □

واحــة في قفـــر

زهـــرة نـادرة

بيضـاء كالبـرق قبيـل الرعـــد

عاشت في زمـــن ما

عبـــر القـــرون

الحسنــاء بيبــي خــانم *

شـاطـيء

استيقظت

ذات يوم من أيام حزيران

وقد انعكستُ

على حبر الماء

تستلقي فوقي

غيمة موبرة

تشبه جعبة

ضمت تنهدات السماء .

تلك هي أيامي الخوالي

التي تبخرت دون أن أشعر ،

أمسكت الشعاع الداني

وبريته بالريح

ثم كتبت

على حقل الرمال الاصفر :

أيتها الصخور المنسية

فوق قاع البحر

وفي روحي

أيتها الصواري

المتكسرة من تذكارات

الشواطيء النائية

ومن عواصف الاوقيانوس

أيتها القواقع

الفارغة مثل لحظة معاشة

كلك لي !

ولي همس البحر

ولي الموجة المتلاشية ..

وأثمن الأشياء

ذاك الذي

لم يعد له ثمن

قصيدة الى قارب يوناني
غرق قرب سواحل أخنوبول

قارب دون مسافرين !

دون طاقم

يقف صامتاً قرب الصخور

متأرجحاً مثل شجرة

أضاعت جذورها ،

□ □ □

دون راية ، دون اسم

وقد أصبح بعد أن تحطم

ملكاً لعواصف البحر

محزن أن تنظر الى الصري الأبيض !

انه منحن

كيد

ترسل تحيتها الأخيرة

للقوارب التي تمر مدانية .

□ □ □

أين هم البحارة ؟

ـ أوى بعضهم

الى الدفء

في بيوتهم

والآخرون ؟

ـ امتلأت قلوبهم القوية

بحسب البحر

ولهذا

غاصت الى قاعه

ولكن

لا تظنهم هلكوا !

فكرة بليدة هو الموت .

انهم ما زالوا يسبحون

في أوقيانوس أفكارنا

أما هـذه الألـــواح

(هكذا يدعو البحار العتيق

بقايـا القـارب)

فقد قذفتهـا الميـاه الى هنـا

لتشـــير الى عـــدم جـدوى

دفـــن النــاس

في توابيـــت ٠

مثـــل جـــدّي

وأمسكت المحرات مثل جدّي

ورنّ في الثلـم

شـيء أصم في الأفـق المقفـر

انـــه أشبـه بعظـم رجـل

أو يـــد ٠٠

ـ وهي حادثــة معروفـة

في ناحيتنـــا ـ

وخيـل لي أنهـا قطعة من مســن

صحــت .

ـ هيــه ، أيها الجد ـ فأنزل قلبقه ـ

لماذا توقفــت عن البــذار

هل هذا نــوع من البــذار ....

قــال :

الــذرة الصفراء تنتظر يا بني

أما هــذا

فلا يقوى عــلى الانتظار هنا

ثم جلس وراح يمزجه بالتراب

ولقد اختلط عــلي الأمــر

حــين حــدقــت !

فهل استحال الى تراب بني اللون

أم استحالت الأرض

الى جسد ،

ومن ثم أردف :

ـ الأرض والجسد

هما يا بني

الشيء ذاته

الذي شبهته بالمسن

انه صدى للوسيان روماني

هلك في أرضنا ـ

□ □ □

البرسيم البارحة

وغداً الذرة الصفراء

هكذا الحال

ولكنه صدى :

ـ هيه ـ أيها الناس

لا تحلموا ببيت غريب

ولا تمدوا اليه يداً !

لقد ولد ثوراي في الحظير.

ولكن لهما قرون من الحبق

كدسة عشب

اكمل ابي تكديس كدسة

من برسيم السنة المنصرمة

كان العشب – الساعات

قد نما حول مهاوي الذئاب

في الحقول – الأيام ،

وجف مع الصمت في الخضرة

وبعد تكديس كل طبقة

كنت أغمر بطفولة ذهبية .

كان الربيع الوليد عطراً حتى الايلام ،

وكل ورقة هناك تهمي كصوت هزار

حينذاك ، رقصت فراشات الألوان

أجمل رقصاتها ــ وكان ذلك رائعاً

ولكنني ما استطعت أن أميز

أيها كان الخشخاش

وأيها كان رجع البابونج المبكر

الذي يوقظني أحياناً من النوم

لا بالصياح

بل يقهر الظلام بالاريج ٠

قلت لأبي :

كم هي جميلة منطقتنا !

وكان يحفظ الاوراق

لتعيش بها الدواب

ثم يستعيد في ذاكرته ذاهلاً

منظر الثلج يلمع في الخارج دون رائحة

فوق العبق الأكثر حياة

لأعشاب القرى المكدسة

ذكـــرى

لم يكمـل المدرسة الثانويـة معنـا !

لم يدرس تاريخ آسيـا

ولم يحفـظ اطلاقـاً

أي أغنيـــة ملكيـــة

لقــد شـــق

لأنــــه

حمـــل النــداءات

تحت ثيابـه الرثـة الباهتـة

بدلاً من كتــب الحســاب !

وكـان الصـف متزنـاً

فأسـامـه

كانـت رهيبـــة

ســاعته الأخـيرة

تأرجحت سـاقاه

مثل اثنين دهشين

□ □ □

لقد مات

دون أن يكمل الصف السابع

أما المتزنون فقد أكملوا

وعاشوا !

خبز

أعجن العجين

أيها الخباز !

واضرم النار في الفرن

فها هو الصباح يتوهج

ويحترق الليل

بين شعله .

لقد حان ميعادك !

ضع كل شيء

تحت لفح النار

وسيأتي النهار

مقمراً كالخبز .

وهنا ،

حول زاويتك الصغيرة

سيقف في سيل بشري :

مستحقو لقمتهم

والطفيليون

الذين لا حصر لهم .

على الشاطيء

أي شروق هاديء !

ويلوح البدر

ابيض ، طلقاً وسط الليل .

وبعيداً

ينطـلق درب القمـر
عـبر العـالم مثـل أمـل .

□ □ □

اجـيء كـل ربيـع
الى شـاطئ البحـر
وسيان ذلك لـدى المـوج
فمن أنـا ...
ومع ذلك يخفـق قلبي
كما النسيم
في شـراع زورقـي الأبيـض .

لا احـد هنـا .
بعيـد عن الأقـارب والاعداء !
واود ان أصيـح بقـوة
وان اركض طويـلاً

وأن تأخذني الرياح القويـة
في أحضانهـا •

وأن تغسلني بالرشاش الناعـم •

أواه ، هبوني ، على الأقل ، جرعة

من كأس سكينة البحر

أمام هذا المدى الرحب

غـير المطـروق

أمام هذه الزرقة المترجحة

جميـل أن أتذكـر

أن لي رأسـي الخـاص •

الصنوبـرات الخضـر

الـى دائتشـة

وفهمـت ••

كـان ينبغي أن أكتشف ذاتـي

قبل أن ألتقي بك !

فالصباح الذي يطلع على قلبي

قادم من ضوء عينيك .

ولكنك لا ترينني

كما أراك

ثمة بيننا

كيلو مترات عديدة

ينبغي أن نجتازها

لتتصافح يدانا .

أتنتظرين تلك اللحظة ؟

أنا أنتظرها !

سيحدث ذلك ذات صباح

حين تخر صنوبرات بيلميكن بابرها

قطرات الندى

يا صباحي البعيد !

انتظرت مراراً فتاتي

التي لها نظراتك

وفي كل مرة

كانت تأتي غيرها !

لقد رددت مراراً

انني أحب

دون أن أتلقى الجواب الشافي !

ولقد أقسمت مراراً

دون جدوى !

لو كنت رساماً

لأخذت الألوان

ورسمت لوحة لقائنا :

بيليمكن ، صنوبرات خضر

قطرات ندى على الأعالي

وعاشــقــان

يتناجيـــان

واليــد باليــد .

الصورة التي قرب الطريق

الحــب مــرح !

الحــب ضحــك !

الحــب صمــت !

تحــت النجـــوم !

انا لا اتذكــر أيــن

ومتـــى

رأيتـــك

كــل ما أتذكـــره

هــو أن" عينيـــك

كانتـــا زرقــاويـن

اتذكـــر فقـــط

كيـف في تلـك اللحظـــة
الخاطفـــة

توهجـت كالبــرق

فـوق العـالـم

ابتسـامتك

التـي انتظرتهـا طويـلاً

ومزقـت

غيـوم وحـدتـي

السـموات فوقنـا

والرصيـف تحتنـا

والقمـــر

الـذي يلمـع

وابتسـامتك

وصـوتـي

كانـت جميعـاً

تـــــدور •

وكـأن شـجرة الحـور

التـي قـرب الطريـق

تهمس لـك :

ـ افرحـي !

سـيبقى حبـك خـالداً

طـوال قـــرون

ولكنـه لـن يحيـا

سـوى مـرة واحـدة

صـورة شخصيـة

حـين ذهـب جـدي

لم يستطـع توديـع أحـد

وكـان أحفـاده ـ حبـات العنـب ـ

يتدحرجون حـوله ألمـاً •

وكان فمــي منقبضــاً عنــد التابــوت

فقــد كنت ، حينئذ ، محصرماً حقاً .

الهــواء يهــب من البلقــان

يهمــس له الســهل شــيئاً

ولكــن جــدّي ممــدد دون حــراك

في غيمــة لحيتـــه .

كــان فلاحــاً

حــرث حقـــل أيامـــه

وكـــان حمــامـــة

توقفـت كــي تهـــدل

وكـــان ثمـــرة

ســقطت من شــجرة

ذلك الضــوء الكلامــي ،

التـــي ربــط تحتهــا خفيــة بالخيوط

وروحه بألياف النبات

وتدلت عساليج آماله الربيعية

قرب صليب من أطراف الاغصان •

تلتمع فوق صدره

أوسمة عديدة

من باباي ليليو بوغاز

وهي تقبع في وكن فولاذي ،

في خوذته الحربية ،

لقد سمعت ديك شبابه

البارودي المزهو يصيح

وقد حملته الجياد حول القرية

وكأنها مقرونة الى محراث •

سنونوات

أخي ميكولا سينكفيسكي

يا شاعر ضفة الدنيبر

أنت تحمل القلب نفسه
الذي أعدّوه لي
تحت قرميدات الحياة الريفية

أقبلت السنونوات من جديد
وهي تحصي قشات الأيام الحوالي
ومن خلال قشبرة العرانيس
يسيل ضحك حقول الذرة الديباجي
التي يؤرجحها صخب ما تحت النجوم
المنبجس مع الغبار
الذي تثيره أعقاب بنات القرى الحافيات
اللواتي قبلتهن
وكنّ يغنين مع القمر

وهل ينبغي أن أذكرك بالاغنام
التي تبدو لي كل ّ ربيع

مثـل حمـلان

تقبع تحت أثوابها الصوفية البيض

وسط زريبة سماء العام الماضي

مطـــــار

من براتيرا ومن بيكاديلي ؟

سـواك يـرى باريس في الحـلم

أما أنـت يا قـلب

فتطـير من جديـد

بمشـاعـر الـود

نحـو باكـو ٠

ثلـوج بيضـاء تحت سـماء الظهـيرة

جبـال البـروس ثم مارداكيـان

حيـث سـأعيش عشـرين يومـاً

في سكينـة وكأننـي « خـان »

وسـط دائـرة من شـموع السرو

وفي يـدي كـاس شـاي ٠

وسأصبـح زعيـم قافـلة

من حـرارة المشاعر الصادقـة

فليذهب كلّ حيث يشـاء !

فلن أحسـد أحـداً عـلى شـيء

ولكـن هبونـي مسـلة

القفقـاز التـي تطـاول السـماء !

تنهـدوا هناك قريبـا من الله

في القصـور أمام جيـاد برونزيـة

أما أنا فيكفيني

ان أستطيع محادثة شاغاني

وأن أذهب مع عاطف الى ساحل البحر

وأن أسمع قصيدة من سيافوش

عن هذه المنطقة المشمسة

التي لست

غريباً عنها تماتباً

صلاة جناز

هكذا

فلنصمت دقيقة

من أجل انسان

انتقل الى جهة المصير الأخرى

وصار وحيداً - دوننا -

وهو جدير

بعرفان الجميع

دقيقة صمت

بعد ذلك الصخب الذي لا حاجة اليه

الذي مزق اذنيه حياً .

كـان انسانآ عاديـآ جـدآ

وكان بامكان أي انسان آخـر

أن يستلقـي في مكانـه

ومـع أن ذلك

سيتـح لنـا

ولكـن في مـرة أخـرى

فلنصمـت اليـوم

أمـام ذكـراه

التـي تسـبح

مثـل غيمـة فـوق رؤوسـنا ...

اصمتي أنتِ ، يا أول من حكت له

حكايـات ساذجـة

حـول أمـراء وأمـيرات

فآمـن بسـذاجـة

انه سيعيش مثلهم في القصـور

واصمت أنت

يا معلمه في الصف الاول

من معرفته

أكان لولاك

سيذعن

للقوانين والترتيبات !

وفيما بعد ـ الاغاني

التي يجب أن يغنيها بانسجام

واصمت أنت ـ وانت ،

لا اريد أن اذكر أسماءكم

يا من علمتموه الاخلاق

وكنتم محرومين من شرف كهذا

دقيقة صمت

هي الآن كافية تماماً

لحياته كلها

التي انقضت

في صمت

وخوف

الثعبان

يتساقط الثلج ،

كان أحدهم

قد نتف طيور التم البرية

وراح ينثر الآن بطيش

ريشها الموبر

أكان ثمة ربيع ؟

ماذا حدث للصيف ؟

هل وجدت اقحوانات الخريف ؟

أم كان ذلك حلماً

هكيته لي

عند ضفتي نهر ايسكر ؟

وماذا حدث بعد ذلك ؟

استيقظت على الفور !

فما هذه النافذة

التي تحمدت ازهاراً وهمية ؟

وما هذا البياض

الذي يغمر كل شيء

بسكون ؟

أبيض ! أبيض ! أبيض !

أخاف هذا اللون .

لا يجوز ...

لا خطر في أن ترى

للحظـــة

كيف تفقــد الالوان ذواتهــا ؟

هــذا وهــم .

المــادة ببســاطة

تبــدل أثوابهــا .

ونحــن سنعاود الجلــوس

عــلى ضفتــي ايســكر

وســأقص عليــك حلمــي

الــذي يُدعــى :

الربيــع ، الصيــف ، الخريــف ...

وسيكون كل شــيء كما كــان !

وحدنــا سنكــون اكبــر ســناً

بفصــل

بقــرن

بأبــدٍ .

بيرســـي بوليـــس

آثار مطر ، علائم من رياح ، أعمدة رخامية تحمل رؤوساً على كواهلها ، أياد ، ورماح ، مدينة هدمها الاسكندر المكدوني • لاأعرف لماذا سمّي ، زمناً ، بالعظيم ، ولا أعرف من سماه • والتاريخ في غموضه ، كان له حينذاك رؤوس سباع وأجنحة طيور ••• وسحر هذه الكلمة الصغيرة « المجد » يقف عبر الزمن جنود من حجر لا فائدة منهم لأحد • وتصبح اللحظة وجيزة لكل شيء • هكذا كما رأيتها في العروش الخاوية :

الملك كـير ، الملك داريوس ، كسـيركس والخ •• حتى أعظمهم جميعاً •

الملك غبـار •



أشعار بولونية مختارة

للشاعر: ستانيسواف غروخوفياك　　ترجمة: هاتف الجنابي

ولد غروخوفياك في (لَشن) في مقاطعة ــ بولونيا الكبرى في عام ١٩٣٤، درس الادب في جامعتي ــ بوزنان ، وفروتسواف ــ وفي عام ١٩٥٥ اقام في العاصمة وارسو . عمل في تحرير أشهر المجلات الادبية البولونية مثل « شعر »، « الثقافة الجديدة »، «الثقافـــة» وفي « الشهر الادبي » وغيرها . نال جوائز عديدة في مسابقات مختلفة، كما ونال جائزة وزارة الثقافة والفنون من الدرجة الثانية لعام ١٩٧٣ على كل اعماله الابداعية .

وغروخوفياك شاعر، ناثر وكاتب مسرحي .

ترجمت العديد من اعماله الى لغات عديدة منها (الانكليزية)، الفرنسية، الالمانية، الدانماركية وبعض اللغات السلافية .

بعد معاناة شديدة مذهلة من داء السرطان، وفترة ليست قصيرة قضاها في المستشفيات (اضطره المرض للهروب منها عدة مرات) . توفي غروخوفياك في يوم ٢ ايلول عام ١٩٧٦ .

كتب الكثير من القصائد تحت وطأة المرض، خاصة في السنوات الاخيرة من عمره والتي طغت فيها عليه أجواء مأساوية وكآبة بليغة. انه شاعر كبير غير محظوظ. لقصائده وقع العصى في اناء مارغ، او الحرير في الريش واحيانا كالقنابل في مدينة مزدحمة بالسكان . كان موته على ما اتذكر مثار حزن وفجيعة في الوسط الادبي والثقافي الذي كان يعده واحدا من الكتاب والشعراء المجيدين في بولونيا ما بعد الحرب .

ومن اهم اعماله الشعرية والنثرية والمسرحية :

نشيد الفروسية ــ شعر ــ ١٩٥٦ ، التعري للنوم ــ شعر ــ ١٩٥٩ ، الاعاب او عنب الثعلب

شعر ـ ١٩٦٣، ما كان صيف ـ شعر ـ ١٩٦٩، الليندي ـ شعر ـ ١٩٧٤، ترسيموس ـ روايـة ـ ١٩٦٢، البادق ـ رواية ـ ١٩٦٥، مختارات من شعره ومسرحياته ١٩٧٣، الثعبان ـ مسرحية ـ ١٩٦٤ ، الملك الرابع ـ مسرحية ـ ١٩٦٣ .

افتــــراق

في مكان ما ، ثمة منتصف الليل الذي لا أراه ،

منتصف ليـل العالـم ،

ومنتصف ليـل النهـار

الوقـت والفضـاء مشدودان الى نجمـة واحـدة ،

النجمة التي لم يولد تحتها

الا ّ المـو ت

رائحة منتصف الليل في آذان الموتى

في أنـوف الكلاب السائبة ،

وعلى سطوح الثلوج اللا محدودة ،

في أوسمة الاطفال الفخارية

الاطفال الذين صمتوا والى الأبد

كان طعم ً منتصف الليل ،

في تلك اليد التي لمستها ، مثل حديد في الزمهرير

ومنذ ذلك الوقت أحمل نصف لسان

ومنذ ذلك الوقت أثرثر

فقط .

من ديوان « التعري للنوم » ١٩٥٩

التعـــرّي للنـــوم

معاً نذهبُ ،

في هذا الداخـل الكبـير

هي في فستان من الزفت ،

وأنا في فستان لازوردي

هي بصلعتها المخضّرة قليلاً ،

تقـول :

هنا سيكون المسمار الأوّل ،

وهنا على القيثارة ، ستعلّق يديك

وهذه العصفورة

هل فيهما ستكون ؟

أنا أسأل

لكنها صمّاء ، صمّاء في كلا النجمين السوداوين

وهنا ،

سيكون المسمار الثاني

هنا ستعلق

حجاب الرئة الفضّي

وهذه الوردة

هل فيهما ستكون ؟

وهي عمياء ، في الأذنين الحادّتين

وهنا ،

نقول :

سيكون مسمار ، على الرأس ،

علّقه بخفة

كمنفر في سقف الأرض ،

انا لا أسـال ،

اقـف ، هكذا أبيض بهالة ،

مثل عمود فوق رقبة سلكية •

من ديوان « التعري للنوم » ١٩٥٩

الطـــاهــرون

افضل القبــح

فهو أقرب من نبض الكلمات ،

حينما ندخلها ونعذبها

فهو الذي يشكل أغنى الاشكال

يحيي الجدران الدفينة

وفي برودة التماثيل

يكسوها بســم الفئران

لانه في العالم اناس نظيفون

عندما يجيئـون

لن ينبح كلب

رغم أنهم ليسوا

قديسين ولا هادئين

من ديوان « التعري للنوم » ١٩٥٩

في الظلمة

ـ قل للطير ...

ـ حسناً . سأقول :

كانت الطلقة في النهاية مذهبة ،

صاغها المذهِّب للقضايا الغادرة ،

جاء بها من السماء ،

وبعذوبة سيموت .

ـ قل للسمكة ...

ـ حسناً . سأقول

ذي المطرقة المرهفة ذات المعنى الداخلي

جميل* ما سيدلك الوجه بها

لان الوجه أملس يشبه السمكة ٠

ـ قل للحصان ٠٠٠

حسناً ٠ سأقول

برهافة تونف القوائمِ بالحرير ،

بعدها ، مداعبة بالسكين على الارداف الصقيلة ٠٠

الحصان ، حتى الميت ،

سيشكر مثل تلك المداعبة ٠

ـ قل للقصّاب ٠٠٠

ـ حسناً ٠ سأقول

ثمة وحيد القرن بأجفان ثقيلة ،

بيضاءَ تتحول في حدائق كرزيّة ،

أعرافها تبكي عند الانهر الخاملة ٠

عن ديوان « الاعصاب » ١٩٦٢

الغيمـــــــة

غيمة حلّقتْ خلل المرج ،

غيمة ملساء ركضت عبر الروابي ،

تحسسوا المنظر ـ ابيضاض وخضرة المرج ،

بنقاء السماء الصباحية العظيم ،

الطاحونة لمستها بأجنحتها ،

والغيمة على الاجنحة الاربعة سوّت خطوات أربع

بعدها كالبجع لعقت الارياش ،

وعلى هيئة عين ملونة أبحرت ،

تحت الكستناء غفى بيلون الريفي وهو مقشعر ،

القبعة على العيون ، القنينة بنبيذها الرديء ،

ولامس الغيمة ، تدثّر بها ،

الغيمة صارت لحافاً من الريشِ دافئاً ،

بعدها ، قيّدها بيلون بالحبال ،

وعلى ظهر مهرة حملها في رحلة بعيدة وراء الغابات والجبال السبع ،

امام حدود الحبيبة توقف،

ألقى الغيمة في زاوية ، ومثل ملاك

غنى للحلوة أعذب الكلمات ...

الازهار أخفت نفسها في الاصيص باستحياء

الكلب حدج السيدة بنظرة من تحت بوزه

ثم غادر بيلون تاركاً الغيمة .

حل المساء ، عاد الزوج الى البيت

المناضد الكئيبة بصعوبة صمتت ،

في البيت الحزين المروع .

تقدمت الغيمة لى البوابة بصمت ،

باحثة عن ثقب المفتاح ،

وماهو ، يتسع الخيط الابيض الرقيق دون توقف .

صرخ الناس ، الاجراس دقت من الرهبة ،

الفيول أخذت تقطّع الحبال

وفي الزاوية ، تحت المصباح مختبئاً كان بيلون*

ـ والسكين في يده ـ بضحكة خافتة وأسنان بيضاء ٠

من ديوان « نشيد الفروسية » ١٩٥٦

الضيــف

التاريخ ؟

هل ندخل فيه مثل الصالون ؟

(هنا القيصر يجلس ٠٠ هناك على البيان القيثاري* ،

امرأته الخجلة* ذات الضفيرة الخلفية تروس الآلة ٠٠٠)

اذن هكذا ، كما في الصالون فلتشتعل الشموع

بلا حدود

لحي* في الاعالي ، أو ميت في الوادي ،

أو لهذا الذي يموت بكبرياء ،

لانهم يقطّعونه بدلا من انقاذه ٠

لا تدري ٠ بل لا تريد أن تدير الوجه ،

تتقدم خطوة ـ ترجع تذهب كأنما للا*مكان

كالتائه وسط المقابر الغريبة ،

يتكشفُ الومض ،

الاودية تتمغنط

دزينة شموع تدخن فوق مكانك ،

متى تغلق احداهما المرمر المكفهر ،

من ديوان « الاعناب » ١٩٦٢

المدينـــة

زرتُ مدينـــة

لا شيء فيها سوى القنابل

في المدينة ، ما كان «لا» القنابل ،

عندما يتم تذكر القنابل ،

الكلاب ترفع رؤوسها ،

وآذن كبار السن تميل من الثقل ،

القنابل أتت فجأة ـ مثل المطر ،

سميكة ذي الليلة ،

شــفّاف القيظ

في البساتين ، تفتح الكرز الابيض ،

الطيور خرجت في السماء مثل قطيع من الملائكة

الكلّ خرجوا . لا من الطوابق ،

ببساطة على جسور من الستائر الشفافة ،

على الريح ببساطة ، في الحدود العائلية ،
في كواكب الفضة ،

وما نفذ من تحت التنانير الشفيفة .

لان القابل الجيدة أهاجت الطيور ،

الحديقة كانت محاطة كالدائرة ،

الكل ركبوا ، في البجعات السابحة ،

على ظهور الجمال التي تفجر الدخان
من مناخيرها .

هنــا ،

يصمت الشيوخ ،

الكلاب تمد رؤوسها

لكنلا بد من الاعتراف

عدد من السيدات الهيفاوات ،

ركضن عاريات في المروج المسودة ،

وهنـــــاك ،

سقطن ، ربما مع الغجريين .

أيتها الليلة القنبلية ،

ليلة القديس يان ،

وردك السرخسي وقف على ساق منهكة ،

وله قدح من عين راحلـة

ذات أوعية مدماة

مثل وسام مطرز .

بعد اليوم ،

لن ينسى الشيوخ ، ولا الكلاب

من اقتلع الوردة ،

ووسط الشرار حملها

من المدينة التي صارت حفرة مشققة

مثل فم مشقق ، بأعجوبة أزلية .

من ديوان « الاعتاب » ١٩٦٣

سـونزة الحمّى

ثمة ريح ، توسع حتى منخري الرجل ،

توجد هكذا ريح .

ثمة صقيع ، يسوي الرجل النحيف مرمراً ،

يوجد هكذا صقيع .

لست لي زعتراً ، ولا وردة

ولا حتى « لحظة حسية في الشهر » ـ

لكنما ريح مظلمة ،

لكنما صقيع أبيض .

ثمة مطر ، يغير حتى شفاه النساء ،

يوجد هكذا مطر .

ثمة ومض ، يكشف حتى أفخاذ النساء ،

يوجد هكذا ومض ٠

لا تبحثي في اكتافاً قوية ،

فلستِ في فكري « ياقوتة الثقة » ،

لكنما مطر مالح ،

لكنما ومض ذهبي ٠

ثمة قيظ ، يحرق حتى أجساد المحبين ،

يوجد هكذا قيظ ٠

ثمة موت ، يوسع حتى أعين المحبين ،

يوجد هكذا موت ٠

هي ذي ، على فرجة العرس المعشوشبة

من عظام العاج

ترتفع قمـــة

نظيفة مثل الضوء

ملساء مثل الموت ٠

من ديوان « ما كان صيف » ١٩٦٩

تقبيل – صورة البلاد

ضعت في غابة شعرك –

اكتشفت الاعشاب والبكاء .

عرّجت أسفلَ ،

على ثلوج الجبهة الشتوية البيضاء ،

حيث البكاء يتلاشى ،

فكان ظلّ الشمعدان .

بعـــدها ،

زرتُ تحفيّات وجهك ،

كلّ مرة ، أكثر قرباً

كل مرة ، أكثر قرباً

من قرية فمك المجيد النائمة .

كل ما يحدث فيها ،

لمرة واحدة يحدث .

وسرتَ في القرية ،

وكان الصحو تحت سماء سمائك ،

حيث ، في زاوية هادئــة ،

مات الخجل الريفي الشاب برائحة الزعتر ،

فتاة عدت – ووقفت عند الدكة

أنظر ، كيف اطار صورة البلاد يتغير ،

كيف تشرق

البجعة الاولى

في حدائق الليلك ،

وتنحني الاهداب تحت نداوة الغبش ،

من ديوان « ما كان صيف » ١٩٦٩



البيت الذي مات مرتين !

بيير غامارا — ترجمة : د . عبد الرزاق جعفر

بيير غامارا

كاتب تقدمي فرنسي برز اسمه بعد الحرب العالمية الثانية .
اشتهر بكتابة الرواية الطويلة والقصة القصيرة والشعر .
من كتبه :

- اولاد الخيز الاسود (رواية)
- بمث النار (رواية نالت جائزة الرواية العالمية المعروفة باسم شارل فيون)
- ديكة منتصف الليل (رواية)
- المراة والنهر (رواية)
- المنية قلعة آراس (شعر)
- روزالي بروس (رواية)
- ايدي الرجال (قصص)

كما كتب للاطفال : « البنت والحمامة » و « الكلمات السحرية » . وغير ذلك.

د. عبد الرزاق جعفر

لست أعرف دائما ماذا تقول الريــاح . لكنها سردت عليّ حكايــة ذات مساء ، حين كنت مارا في هذا الشارع . وكان ذلك في شهر أيلول ، وهو الشهر الذي يتصف بعذوبة الهواء ، تنبعث منــه رائحة كرائحة الثمار الناضجــة والأوراق الذهبية ، كانت السحاب تحمل عبير الكوخ الثقيل والأجاص الذي لوّحته الشمس ، وأشجار العنب البعيدة ، في الريف ، حيث ترقــد العناقيد الزرق بين الأوراق التي شرعت تحمرّ منذ عهد قصير . كان ذلك الوقت وقت ثمار الأرض قبل سقوط الثلج . والنور أيضاً .. كان أكثر نضجا وأشــدّ حلاوة ، كأنه ذوب الثمار .

في هذا الشهر ينهض قاطفو العنب ، في بلادي ، منذ الصباح الباكر ، حيث الضباب الكثيف يلفّ أشجار الحور والدردار والدلب ، ويكسبها لوناً بديعاً. ينتشر القاطفون في الكروم . ويقطفون النبيذ اللذيذ من الأرض . أما النساء والفتيات فينحنين بظهورهن القويــة على الدوالي ، وترفع أيديهــن الرشيقة الظاللة الأوراق الندية ، ثم تقطع السوق ، وتتناول العناقيد . ويذهب الرجال الى العربات وهم ينقلون القناطير المقنطرة من العنب اللماع ، وأخيلتهم تتراقص من مكان الى مكان في ذلك السهل الفسيح ، وتشمّ رائحة الخمرة المثلجة في الهواء ... هــذا هو أول دم تنفثه شــجرة العنب ... انــه المتعــة وثمن الجهد ... !

قالت لي الريح كل هذا ، في بادىء الأمر ، ولقد حدثتني عن عمل الناس أيضاً . فعادت بي الذاكرة الى كل الأعمال التي تنبىء عن الفصــول ، وعن

أوقات الحصاد ، عند اشتداد القيظ ، وعن الدراسات الضخمة ، حيث تنقلب الأيام أعيادا ، عندما تشخر الماكينات بسيورها ومداريها ، وعندما تتدفق شلالات الحنطة نحو الزكائب . حينذاك كان ينحني الرجال نحوها ، ويأخذونها بين أصابعهم الغليظة ، ويفركونها ، ويداعبونها ، ويروزونها ، ثم يتركونها تهرب ببطء من أصابعهم آسفين ، فتتدحرج حبة أخيرة صهباء سمينة بين الابهام والسبابة . انهم يفركونها حتى يكادوا يسحقونها ، لكي يروا طحينها، ويتعرفوا الى الخبز الذي سوف يخبز منها ...!

هذا ما كان في صوت الريح . وثمة أشياء أخرى كثيرة ضاعت فوق المدينة عند الاصيل . كان ذلك في شارع تحف به الحدائق والبيوت الهادئة. يوجد مثل هذا الشارع في مدن أخرى عديدة ، وان كانت البيوت جميعاً لا تمتلك الوجه ذاته . فمنها الصغير ، ومنها الكبير . منها ما يغيب تحت الأوراق وخلف أغصان الزيزفون . ومنها ما يجثو تحت سقوف الحجر الأسود الضخمة ، أو تحت سقوف القرميد البراقة . لبعضها أوكار حمام وشرفات من الخشب . كما أن لبعضها الآخر جدرانا من الحجرة البيضاء أو من القرميد الوردي الكبير . وبني غيرها من صخور (الشيست) التي جلبت من الجبال . عن هذا كانت تتحدث الي الريح : عن بيوت الناس الوحشية ... عن الحصى ، والغضار ، وسعف النحل الذي يشق عنان السماء ، في الوقت الذي يأوي فيه الصغار الى فراشهم . وتلك هي الساعة التي ترى فيها رؤية جيدة . إنها تتطلع نحو السماء مستقرة على جدرانها ... وتضيء

بواحدها متلألئة كما تتلألأ العيون ، ثم تنطفىء وقت النوم • حينذاك تهدأ البيوت وتنتصب في وجه الريح الشمالية والأمطار والثلوج المنطلقة •

كانت امرأة عجوز تجلس على الرصيف مستندة الى أحد الجدران • فقالت لي الريح :

ــ « هل ترى هذه المرأة ؟ هل تراها ؟ انها تفكر في بيتها • هنالك نساء كثيرات يفكرن في بيوتهن • لكن هذه ••• »

هذه ••• لقد كانت امرأة بيضاء الشعر • عقصت شعرها بمشط ثقيل خلف رأسها • الا أن بضعة خيوط فضية كانت تتطاير أمام وجهها المتجعد • كنت أرى جفونها تنخمض وترتفع كأن النعاس كان يهاجمها ، أو كأنها كانت تخشى فرار بعض الصور من رأسها • قد يقول عابر لنفسه :

ــ إي ••• ! إنه شارع مثل غيره من شوارع المدينة • عجوز تستريح منتظرة هبوط المساء الخريفي على المدينة ، ومتمتعة بعذوبة الهواء • لا شيء غير هذا • سوف يخيم الليل عما قريب • وسوف ترجع العجوز الى منزلها الكائن على بعد خطوات من شجرة الزيزفون العتيق ••• ! وسوف يصبح الشارع ساكنا ••• ثم سوف ينتشر الظلام على طول الرصيف » ولا جديد يمكن أن يضاف الى مثل هذا الكلام •

كان زوج هذه المرأة بناءً • وكانا ، في شبابهما ، يسكنان في قرية واحدة ليس هنا • ولكن بعيدا • في شمال بلادي ، على مقربة من نهر هادىء ، ينشر الخضرة حول الحدائق على امتداد ألف ذراع • لم يكونا غنيين اذا فهمنا

بالغنى كثرة المال ، بل كانا غنيين في أيديهما وحبهما ، تمكنا من العثور على مأوى يضمهما بأجرة زهيدة ، إلا أنه كان مأوى مؤقتاً ، كان الشاب يقول :

ـ « صبراً ... سوف يكون لي بيتي ... انني بنّاء ! » .

وهكذا كان ، فقد اشترى قطعة أرض ، على ضفة النهر ، وشرع يبني بيتا له ، في أوقات فراغه .

ومرت الشهور ، وبدأ البيت يتخذ شكلاً ، حفرت الأسس ، وصفّ القرميد والحجر ، الواحدة فوق الأخرى ، والبناء ماض في عمله ، كان يحدث نفسه :

ـ « انني أعمل في النهار ، وأربح ، سوف أشتري كيت وكيت » .

وبرز الهيكل الى الوجود ، وغطى القرميد البارد السقف ... وكانت المرأة تفكر بالقرب منه :

ـ « حين يكون لنا بيت ... سوف يكون في وسع الولد أن يأتي حينذاك ... نعم ... وسوف يرى أننا وفرنا له سكناً .. »

وجاء وقت الملاط ، ودق المزاج ، وتركيب الباب ، والتجصيص ، وتمّ بناء البيت ، وشعر الزوجان » حين دخلاه للمرة الاولى، كأن حياتهما بدأت من جديد ، إنهما في غاية السعادة ، كان البناء يفرك يديه العليظتين ويقول لنفسه :

ـ « إنني أنا ... أنا وحدي ... بنيته ... ! كل قرميدة فيه تعرفني ... وأنا أدرك الجهد الذي بذلته فيه ... ! »

ومرت السنون بين أمطـار وشمس . كان هواء البحر يدفع الضباب الكثيف نحو البلاد . كما كانت الأمطار تنشر الخضرة في البسـاتين . وكان البيت الصغير الرابض في ركنه مـن الأرض قد بدأ يقوم بمهمته ، فولد فيه ولد ... وكان هذا الولد بنتا . فأخذت هـذه البنت تلعب في الحديقـة ، على طول الجدار الذي كان أبوها قد بناه . وحين كان الأب يعود مـن عمله كانت صرخات الصغيرة تستقبله من بعيد . أما هو فقد كان يتأمل دائماً ذلك القرميد الأحمر ، من خلف الأشجار ، ويفكر :

ـ « بيتي ... ! »

لقد جعله سميكا وقويا كي يعيش مدة طويلة ... وكي يلعب فيه ... فيما بعد ... أولاد عديدون كما تلعب ابنته الآن .

وحين كان البناء يفكر في أبناء الغد كان يفتل شاربيه ويبتسم . لقد كان يسمع أصواتهم وهم يرددون :

ـ « هل تعرفون ؟ هذا البيت شيّده جدنا البنّاء ... وحده ... في أوقات فراغه ... ! » .

□ □ □

ثم ... هبت عاصفة ... !

لكنها لم تكن عاصفة برق ورعد ، بل عاصفة من نوع آخر ... عاصفة

لاتعرف الفصول الأربعة . شملت البلاد كلها . وكنست ريحها المدن والقرى جميعاً ... !

انقطع البناء عن العمل في مهنته . وشرع يصنع بيوتا ، من نوع آخر حافراً لخنادق في الأرض . أما زوجته فقد سارت مع أمها وصغيرتها وسكان المدينة كلهم ، في الطريق ... كانوا يدفعون أمامهم العربات الصغيرة ، ويسيرون وراء العربات الكبيرة ، بينما كانت العصمة تزأر في السماء ... ! وكان البناء يتساءل :

ــ أين هم الآن ؟ ونحو أي مدينة أرسلوا ؟ » .

وكانت المرأة ، من جانبها ، تفكر بالرجل الغائب الذي لم يعد يعجن وحل ابيوب ، لأنه شرع يعجن الطين الأبيض أو الأصفر من أجل الحصاد الميت ...

ذهبت المرأة والطفلة والأم نحو الجنوب . وحللن في مدينة فيه ... وعشن عيشة كفاف . وظلت العاصفة ثائرة .

وفي ذات يوم وصل البناء الى طرف غابة ممتدة بعد أن قطع مسافة طويلة في الليل . لم يكن الانسان قادرا على تمييز شيء في ضباب الصباح الكثيف . كان كل ما يتصوره أمامه أرضا واسعة فسيحة . كان السهل الذي قصفته القنابل يمتد حتى هضب الغرب . ولم تكن ترى فيه شجرة واحدة على قيد الحياة كأنه قد مشط بمشط ذي أسنان غليظة ، وكان ثمة بريق يعكس جريان نهر بطيء . لقد كان النهار في مطلعه . مطلع النهار . والسكون يخيم على المنطقة .

وكان دوي الرشاشات ثقيلاً مرتجفاً في الأفق . وكانت الريح تنقل ، من بعيد ، صوت اطلاق النار من المدفعية ، لكن ذلك السهل كان هادئاً مع ذلك . وبغتة بدأت عملية اطلاق النار بصورة واسعة . وأصبح من الواجب التقدم تحت ستار من نيران المدفعية .

في تلك اللحظة التفت الرقيب نحو البناء . وقال له :

ــ « ما بك أيها البنّاء ؟ »

مرّ البناء بيديه على عينيه . ودار على عقبيه وكأنه قد شرب ليتراً من الخمرة . وكانت حقيبته تهتز متثاقلة على ظهره .

ــ « ما بك أيها البناء ؟ »

تابعوا تقدمهم . وجدوا خنادق قديمة : اذن فالمكان خطر . والعدو أمامهم . في هذه اللحظة مدّ البناء ذراعه نحو نقطة قريبة من النهر . نقطة ليس فيها شجرة ، أو سياج ، أو ورق . ليس فيها أي شيء . لم يكن المرء ليرى فيها ، من خلف دخان المعركة ورعدها ، الا أرضاً حرثها الحديد والرصاص . لقد كان ذلك المكان محروثاً أكثر من غيره من الاماكن الأخرى ، وأشد إقفاراً ، وأعظم موتاً . لقد عرف البناء البيت الذي أشاده . رأى فيه شبح حلم ينتصب في الهواء المضطرب . استطاع أن يميز سطحه وجدرانه ... في ذاكرته . ولكن ــ كما قلت ــ كان ذلك المكان أكثر إقفاراً وأعظم موتاً ... !!

وفي ذلك اليوم نفسه اخترقت رصاصة قلب البنّاء . لعله لم يقو على تحمل ذلك العذاب . فلقد كان كالمخمور من شدة الحزن ... !

والآن يجب أن أقطع السنوات ، السنوات التي قد تكون ذات أهمية ، لكني لا أستطيع أن أذكر كل شيء جرى فيها . لم تشأ المرأة أبدا ان تعود الى المكان الذي فقدت فيه بينها وشريك حياتها . فظلت تمارس بعض الأعمال الشاقة في البلد الذي آواها . وربت طفلها . واعتنت بوالدتها .

وذهبت أمها بدورها ...

وسارت الفصول في فلكها من الثلج والأوراق وذكريات الليلك الآفل والليلك القادم . وأصبحت الطفلة امرأة ، شابة ، شابة حسنة الهيئة . لقد كان لها من أمها عذوبة النظرة والشفتين ، ومن أبيها البنّاء ، شهيد الحرب ، شعرا أشقر وذقن يوحي بالإرادة القوية والجسم الصلب ، ها هي ذي تتزوج بدورها ، في البلد الذي كانت تقيم فيه . والوقت الذي تتزوج فيه الفتيات يمضي ويتكرر ، فتأخذ الحياة مسيرتها من جديد وتنتصر .

كانت في غرفة الأم ، على طاولة الليل ، صورة صغيرة في اطار من القطيفة كمد اللون . وكان يرى فيها وجه نحيف تعلوه عمره ، وجه أصفر لونه ، لا يكاد يرى بوضوح ، على خلفية من اللون ذاته مما يرغم الانسان الى الميل نحو الصورة والتحديق فيها لكي يتبين ملامحها ويميزها . انه وجه الأب ، وجه الفقيد الذي كان يتراقص دائما في ذاكرة ابنته التي لم تحتفظ منه الا بهذه الصورة ، بهذا الوجه الذي لا يكد يرى بوضوح ، إلا أنه حاضر دائماً وعلى الرغم من كل شيء .

ربما كان ذلك هو السبب الذي دفعها الى الزواج من بنّاء . وربما تزوجت

البنّاء لتحتفظ بذكرى الوالد الراحل ، لقد كان شاباً في مثل سنها يقبض على مهنته بكلتا يديه بصورة ممتازة .

ولقد تمّ ذلك ازواج عندما بدأت الحرب ... من جديد ، وقد تابعت تلك الحرب أيضا سيرها حتى شملت العالم جميعا ما زالت الفتـــاة تذكر أمها وهي ماضية الى الخياطة خلف نافذتها،وبائعو الصحف الذين كانوا يتراكضون في الشوارع صائحين . وكان حبر الصحف يلمع . فصاحت الأم :

ــ « يا إلهي ... يا إلهي ... ماذا سيجري أيضاً ؟ »

ثم صدرت عنها حسرة عميقــة . وانحنت ، من جديد ، على صدرياتهــا وقمصانها . كانتا تسكنان في مخرج المدينة تقريباً ، في الطابق الثالث من بيت قديم جداً . وصدرت عن الأم حسرة أخرى . ثم أضافت :

ــ « ولكــن ... هنا ... في هذا البلــد الجنوبي ... قــد نكون في أمن . لن نخســر الكثير ... لاتقع الحرب هنا في العادة » .

ومضت الأيام . كان البنّاء يذهب باكراً ، في الصباح كل يوم ، ويعود في المساء . وكانت الأم تدور وتدور في المنزل ، وتبحث عن أحسن السبل لتوفير أي شيء . أما البنت فتنحني على ماكينة الخياطة . بدأ الهمس منذ الصباح حين ذهب البنّاء الى عمله . ولقد طالما دارت في رأسيهما هذه الفكرة شراء قطعة أرض في الضواحي واقامــة بيت جديد عليها ... بيت خاص بهـــم . واشتريت قطعة الارض في ذات يوم . وشرع البيت يرتفع . كانت الأم تريده مثل ذلك البيت ، سميك الجدران ، يقاوم الريح و المطر ، ذا سقف واســع

جميل من القرميد وجدران ضخمة من الآجر . وكانت تحدث نفسها :

ـ « مثل ذلك البيت ... » .

وكانت تحاول أن تشرح لصهرها كيف بني ذلك البيت ، وأين كان المطبخ، أو أين كانت الغرف ، وكم من النوافذ كانت تضيئه ... وأخيراً وجد البيت . لقد خرج من بين يدي هذا البنّاء الآخر . أما الأم ... فكأن شريك أيامها الغابرة قد بعث من جديد ...

لكن ... هناك ... في شوارع المدينة ... كان بائعو الصحف يتراكضون ويصرخون في شتى الأنحاء ... عن اسبانيا وعن المدفع الذي كان ينفث النار باستمرار . وأجهزة المذياع تعلن عن معارك ، وتتحدث عن متاعب جديدة . صدرت عن الأم حسرة . وقالت في أعماق نفسها

ـ « هنا أيضا . قد نكون في أمان . والولد الذي سوف يولد لن يعرف ما عرفت . » .

ذلك أن طفلاً كان يوشك أن يولد في هذا البيت الجديد .

لقد كان حيا جديدا . وكان أريج المصول يأتي لمداعبته . وكانت شجيرات الليلك والأكاسيا ، في شهري مايس وحزيران ، تعطر أنفاس النسيم . وريح النهر تدفع عطر الأعشاب ، عطر الحدائق المجاورة جميعا . وكان الثلج الأبيض والوردي الذي يغطي الاشجار المثمرة ، في وقت تفتحها ، يغلف الجدران أيضا ... كان حيا تفوح منه رائحة الأعشاب والأرض الغنية القوية المحروثة .

لكن شائعة سرت في المدينة ذات يوم ، فاحتشد السكان في مفترق الطرق يقرؤون الصحف وقد سيطرت على أبدانهم حمى مشبوبة • وجرت النسوة نحو منازلهن بعيون مفعمة بالدموع • وتوقف الرجال عن العمل • وتركوا أذرعهم تسقط الى جانبهم • عاد البنّاء الى بيته عند الأصيل تقريبا • وكان النسيم مشبعا بعطر أيلول ، حيث تنضج الثمار ، وبأريج الخمرة المبردة • دفع البنّاء باب بيته • وألقى نظرة على الام التي كانت منهمكة في الحياطة ، وعلى امرأته التي كانت منحنية على ماكينتها • ووضع حقيبته التي ابيضت من الاسمنت • ثم قال :

ـ « هذه المرة ••• وقعت الواقعة ! »

شحبتا • نظرت الأم نظرة طويلة من النافذة ، نحو تلك البقعة الخضراء والزرقاء من السماء العذبة في أصيل يوم من أيام أيلول • وكانت الريح ، من بعيد ، تكنس الأوراق بهدوء على طول النهر •••

□ □ □

لقد كان يخيل اليهم أن عواء صفارات الانذار ينطلق من شجرة الميلك الموجودة أمام الدار ، كما لو كانت تلك الشجرة هي التي تصرخ ، أو هي التي تعوي • نهضت الأم راكضة نحو النافذة • لم تكن ترى شيئاً • ولم يكن في وسعها أن ترى شيئاً • أما ابنتها فقد كانت واقفة أمام باب الغرفة التي يرقد فيها صغيرها • لم تكن لتجرؤ على فتح الباب • هل سيستيقظ الصغير ؟ لكن عواء الصفارات كان يتلاحق ••• وكان ذلك أول انذار •

حملت الأم نفسها الى المطبخ ، وتناولت شمعدانا كانموضوعا على أحد الرفوف ، ثم عادت الى الغرفة التى كانت تشتغل فيها مع ابنتها ، قالت البنت:

ــ « سوف يستيقظ ... »

وفهمت الأم من حركة شفتيها بماذا تفكر ، ماذا بوسعها أن تفعل ؟ هل يمكن أن يصاب هذا الحي بسوء ؟لقد كانت فيهمعامل...على مقربة منالبيت ولكن ... ! لقد حفرت ملاجىء ، في طرف الطريق ، في أرض كبيرة واسعة ، وعليهما أن تذهبا اليها حيث الخطر أقل ، لكن البنت قالت عدة مرات :

ــ « لن نتحرك من هنا ، وليحدث ما يحدث ... ! »

الحقيقة أنهما لم تكونا تعتقدان أن الحي يمكن أن تمسه القنابل ، وأطفىء النور ، وانقطع عواء صفارات الانذار فجأة ، ثم اندلع أزيز في أعماق السماء ، فقالت الأم :

ــ « هل تسمعين ؟ »

ــ « نعم ... لقد بدؤوا يطلقون النار على الطائرات ، ربما ... »

لكنها لم تكمل عبارتها ... لأنها كانت تتمنى ، في قرارة نفسها ، ذهاب الطائرات ، ثم ... يحتمل أن تقع القنابل بعيداً عن المكان الذي يقيمون فيه ... !

استيقظ الصغير ، في تلك اللحظة ، وشرع في البكاء ، لا ريب أن صفارات الانذار هي التي انتزعته من الراحة التي كان يرتع فيها ، كما أن طلقات المدافع

المضادة بعثت الخوف في نفســه • نادى أمه • هجرت نحــوه • وحملته بين ذراعيها •

اقتربت الانفجارات • وأصبحت فوق رؤوسهم تماماً • رفعت لجدة كفها نحو فمها وقالت :

ـ « ينبغي أن نذهب • فليس المكان أميناً هيا ••• »

ـ « أصغي ••• إنها هنا ... فوق البيت تماماً ... ! »

ـ « والى أين نذهب ؟ »

ـ « الى الملاجىء• الأمكنة هناك أكثر أماناً • لولم يكن الصغير معنا ••• ••• لكن الصغير ... ! »

وتناولت زكية كدست فيها أوراقهم الشخصية وكل ما اقتصدوه • وأخذت البنت بدورها ثيابا للطفل ، وعلبه من الحليب ، والرسائل الأخيرة التي كان الأب قد بعثها لهم من ألمانيا • وشرعتا تركضان بين البيوت الصامتة ••• بينما كانت زمجرة القنابل تتلاحق •••

□ □ □

قالت لي الريح : حين عادتا ••• حين عادت هاتان المرأتــان ••• كانت الشابة تحمل صغيرها ، والعجــوز تلهث من الإعيــاء ••• لكنهما لم تجــدا البيت ••• لم يكن هناك بيت !! اذ أن قنبلة قوّضت ذلك المكان • لقــد

مات بينهما وبيوت أخرى • كل ما كن هناك عبارة عن سقوف مثقوبة وجدران مبقورة ، وأنقاض من كل صنف ، يمكن أن يتعرف فيها المرء على بعض القطع التعيسة من أغراض بيته ، مصباح عتيق ، وقدر بدون غطاء ، واطار صورة ملقى بين أنقاض الخشب وكتل الاسمنت والحجارة •••

كا د الناس حولهما يصرخون وينادي بعضهم بعضاً • وثمة امرأة كانت على مقربة منهما تجهش بصوت عالٍ • كذلك كانت حال سكان الحي جميعاً •

لـم تبس العجوز ببت شفة • بيد أن شفتيها ابيضّتا ، وتقلصتـا ••• تقلصتا شكل لم يعد في الامكان معه أن تنطق الكلمات من بينهما • دارت عيناها في الجهات كلها باحثة عما لا يعرفه أحد ، كما لو أن البيت قد طار الى مكان بعيد • وشرع الطفل في البكاء كأن بكاءه شكوى قصيرة لكنها ملحة لم يكن أحد ليعرف كيف يوقفها ، حين كان الأطفال يبكون ، قبل هذه الحادثة ، كانت الأمهت يحاولن أن يشدن لهم أغنية ، أو يقدمن لهم دباً من القطيفة أو (خشخاشة) مدندنة • أما في هذه المرة فلم يكن ثمة ما يمكن تقديمه لهم • لم نكن هنك إلا أن تأخذ الأم وليدها وتضمه بين ذراعيها • لهذا كن جميلاً ما فعلته أم الصغير عند سيرها نحو ملاذ معزل في ركن من أركان الطريق ، بينما كانت العجوز تقتفي أثرها حاملة أكياساً وطعامـاً ، وقد زمّت شفتيها بشدة فكونت منهما خطاً قاسياً •

قالت لي الريح : أصغ اليّ جيداً • أصغ اليّ • فلقد سردت عليك حكاية بيت مات مرتين • التهمته النيران مرتين ••• مرتين في حياة امرأة • تهدم سقفه،

واستحالت جدرانه تراباً تحت هدير القنابل • عد الى ذاكرتك وتصور تلك الليالي التي كانت حمراء ••• من حمرة الموت لا حمرة الشمس •••

ذهبت الوالدتان في الدروب وكان شبحاهما يسقطان في الظلمات كما تسقط الحنطة عند الحصاد • لكن هذا الحصاد ليس من فعل الانسان •••

عاد الأب • وبدأ العمل في بيته بجد ونشاط ورغبة وأخذ يضع القرميدة فوق القرميدة من جديد • وخلط الاسمنت الرمادي بالرمل الاصفر النهري وجعل من الخليط ملاطاً لحم به ما بين القرميد • لم يمت الأب في هذه المرة • لقد ظل على قيد الحياة • وظلت العجوز تنظر اليه من خلف عينيها اللتين أغمضتهما نصف اغماضة بسبب وجع جفونها •

كان ثمة بنّاء أمام مسكنه ، يتأمله عند هبوط الليل الخريفي على المدينة وهو يحمل أريج الثمار الناضجة ، والأوراق الذهبية ، وعبير الخوخ الثقيل ، والأجاص اللامع تحت الشمس والكروم المنتشرة في البراري •

وكان الصغير راقداً يصغي الى أحلامه التي استيقظت في مخيلته ، وأخذت ترفرف •••• ألوف العصافير البيض كانت تطير من جبينه •••

والعجوز تنظر •••

إنها تنظر الى الحروب البعيدة ••• تنظر الى ابنها البنّاء والى جميع بنائي العالم الذين يقفون حراساً أمام بيوتهم وعلى أحلامهم ••• '

□ □ □

باتجاه « صولنك » على الجهة اليمنى للطريق

للكاتب المجري عوباش يانوش — ترجمة : نافع معلا

١ –

لا أحب قراءة الصحف ، كما أن ليلتي أيضاً كانت مزعجة .

عرفت كثيراً من الناس ، التقيت بكثيرين جداً . الليل ثانية

احبوني ، غادروني ، تلاقينا من جديد . الآن يريدون اللقاء معي .

منذ عشرين عاما وأنا مريض . كل شيء متشابه ، كل الأيام متماثلة .

لماذا حضروا ؟

أطل عبر النافذة .

أمامي لوحة من الذرة ، أسرح بنظري فوقها بعيداً .

أرى نفسي أيضاً وراء النافذة .

٢ ــ

كان يمكن أن أموت أيضــاً مرات كثيرة ، غير أنني موجود مــع ســيدة عجوز •

السيدة العجوز ، دائماً في الصباح ، تأتي الي إذا لم أذهب أنا الى عندهــا •

كانت ليلتي مزعجة ــ تقول هي أيضاً •

أجلس الى جانبها كالأخرس •

تتساقط الأمنيات ــ تعلن لي ، بعدئذ تأخذ في البكاء •

دائما لا أجيب •

ياي إنه لسيء جداً الا يكون لي أحد ــ تتابع بهدوء أشد •

أخيراً تقف •

السكون من جديد •

٣ ــ

أبلغ سبعاً وأربعين من العمر ، والأشياء التي بينهــا تطوقت حتى الآن ، قد جفّت • .

المكان لايثيره شيء ، غير أن حبال الضوء تتحرك في غشاوة قطرات الماء ، هنا عبر النافذة •

إن المطر ليغلب ، هذه الجهات ، في الصباح •

٤ ــ

شربت كثيراً في الليل • ياللموت •

ماذا هي كثيفة ، وسريعة ، نقراب عصافير الدوري ؟ هل سبب

الفجــر ؟

رأيت جدع الآله • المظلة كما تمتح فوقي •

أخيراً تحدث الوقائع ، والانسان أصبح لايخاف شيئاً •

عام ألف وتسعمائة وثلاثة وأربعين كنا نقفز فوق جبل « تاتر » •

٥ ــ

لماذا لا تأتين ؟ إن عندي خبراً لك •

٦ ــ

صباحاً في التاسعة ، أصعب ما يكون ، انتظار الظهيرة •

لا أحب التذكر •

الأفضل أن أقطع شجرة • إن هذا ، مع ذلك ، لشيء ما •

٧ ــ

التحقت مؤخراً بمدينة مظلمة ، دائماً في المساء فقط كنت أجوب الشوارع •

كيف وجدتني •

الغابة لم تقدم مساعدة ، دارَ ، تفتت كل شيء •

فقط درب الطائرات كان جميلاً أن يلاحظ فوق المدينة •

هاهو الصباح من جديد •

أنا كل يوم هنا ــ ضحكتِ • لم أنتبه متى هم قطارك بالرحيل •

٨ ــ

ادخلي من الباب • الريح تهب •

٩ ــ

« بيرتا » ماتت منــذ زمن • الجميع تقريبــا قد ماتوا • وحــده « ياليت » يزورنا أحياناً

تخبأت الفتيات الجميلات في المدن ، النبيذ أيضاً أدركه السكون•

فقط الشبابيك المكسورة تضيء حيا •

١٠ -

لا يهم أين يوجد الانسان ، لكن لو يوجد إلــه ، لكان ما يفعله حسناً ، إن بقينا أطفالاً •

أنا ••• كنت طفلاً جيداً ، ساهماً •

أتذكر الأعيــاد فقط •

والمحلات الشعبية ، حيث كان الدفء دائمــاً ، حيث الأضــواء تشتعل ، الروائح تفوح •

١١ -

كنت أعرف أن الطلقة أصابت الضابط عند منحدر أنفه ، الى الأعلى قليلاً • أحســت بذلك •

لو أن القبعة تقف على رأسه بانتظام لكانت الرصاصة تدخل من فمه • تماماً من الأسفل باتجاه الأعلى •

ما حدث كان هو الأكثر شرفاً •

تتالت وقائع كاملة • ما تبقى أنجزه « باليشت » وأصحابه •

١٢ -

ما قبل اطهيره كذلك يمضي : إنني كنت أجمل الضفادع تقفز في

البحيرة ، كل يوم قبل الظهيرة، يدورهـ الواحده تلو الاخرى على صمة البحيرة المستقيمه ابطوينه . لقد تعودت الضفادع ، دائماً الثانية فقط تقفز .

لكن العجوز في منتصف البحيرة وتاجها على رأسها تنظر هازئـة بلا حراك .

على إحدى الضـفاف المشمسه ساجد « بيرتا » بكل تأكيد . كم أحببت ذلك « النمش » على جهها .

بعيون مطبقة سسلمي الى جانب بعضنا . الى أن نغرقنا قصة السماء المتوهجة بتأنٍ ، وبعدئد تغرقنا الظلمة .

عند الظهيره ستيقظ . مزاجنا في أن نستدير مواجهين لبعضنا ليس دائماً . حسن أن تكون السماء اللامعة ما زالت في مكانها ، نفسها ، هادئـة دافئة . على هذه الجهة أصبحت تهد عن الصحور باتجاه السهل كتل الحجارة .

ذات مرة أبتاع هنا بيتاً . كالحكايات كل ماهو إنساني .

الغذاء دائماً طيب النكهة . جدة « بيرتا » تطهو بشكل مدهش . انها عجوز صافية . بعد الغذاء أنتظر الى أن تغفو ويداها مشبكتان أمام الجدار الأبيض للبيت المشمس المطل على الشارع . في حديقته يكون الورد الجوري في تشرين الأول قانياً .

الهدوء ثانية .

١٣ –

يمكنني أن أتطاول لأجلها ، آخذها الى يديّ وأحصيها تلك النجوم . هذا أيضاً شيء ما .

١٤ –

كل صباح : الأشجار المنسحبة .

إنها لا تقص على الإطلاق . لا . في حوالي الظهيرة ، دائماً تكون منتصبة . فقط عند الصباح أكون في دوخة .

١٥ –

الآن أصبح الأمر أسهل . العام السابق كان هو الأكثر سوءاً .
أردت أن أرى الجميع مرة ثانية .

لفترة طويلة من الزمن أهمتني النساء . لم أكن لأصدق عينيّ عندما تنبهت الى أن كل واحدة منهن يمكن جعلها تتعرى ، إما لي وإما سواي .
أعتقد أنني حتى ذلك الوقت لم أرهن ، ثيابهن ولا بأية حال ، ألوانهن على الأكثر ، حتى وجوههن فاتني لا أتذكرها .

لماذا تنظرين الى الفجر قبل فتوحه ؟

الحب عند العصر فقط ، يشد تفكيري .

أصبحت الآن ، كل شيء غالباً ما يستطيع أن يستبدل الحبّ في داخلي ، الدفءُ الموسيقي ، القهوة السوداء المركزة جيداً •

راقبتُ طويـلاً البيوت المكعبة الشكل ، الفتيـات الجديدات ، الطائرات اذا ما حطت منخفضة فوق المدن ، وخطرت على بالي بعض الأحيان الاعوام الماضية أيضاً •

١٦ –

حسناً ، ذهبتِ

إنك هنا ، رغم ذلك ، في الوقت المناسب •

هل تتذكرين تشييع الجنازة في « تاترا » المليء بالوحل والثلج ؟ بعد ذلك كنت ترقصين أيضاً ، وتردين ، من فوق أكتاف الآخرين ، الضحكة لي • هل تتذكرين العصر في المدينة التي احتللناها في الليل : بكل طمأنينة تمكنا من النوم في السرير النحاسي الناعم •

دخان السجائر المفقود في النافذة الفارغة أعلن الحرب فقط

دائماً تكونين ناشطة ، متجددة في المعاناة ، ناشطة كأنك الشتاء الجديد ، بثلجه الجديد •

١٧ –

أود لو أقول ، ما كان عليك أن تتخذيه ، لكن لنفسي فقط •

أنتِ ؟ بكل تأكيد أنت تكونين ، فقط إنني لا أراك •

تتحرك ، بعدئذ تتوقف الأشجار ، عندما تحضرين •

عناق جاف •

مرابض بمدافع آلية مطلقة ، ترابط فوق البيت • بعد فترة أتنبه : حمائم • حالاً سيكون المساء •

وحيد أنا • لم أرك قط •

١٨ —

أعتقد أنني أحببتك • بشكل أكبر فوق الغيوم • هل تتذكرين الطيران •

لا تنزلي من الجبال • ظلي مع الآخرين • فلئلا تتذكره •

ترين كم هو الأمر سهل : الحاضر أيضاً كالذي كان سابقاً •

١٩ —

أحياناً ، عندما أنظر كثيراً الى العشب ، تبدو لي أعمدة الدبابات المنعطفة في الوادي •

هل تذكرين كيف شاهدنا معركة « كورسكي » أيضا •

النهاية بذاتها لم تكن من شغلنا نحن •

- ٢٠

كان علينا أن نتحاب؟

لماذا لم تأتي .

مرة أخرى أحس رطوبة السفر الرزينة ، الكفاءة الطبيعية للانسان المقلاني تجاه المقرفات .

دافئة هي الصخور . مناسب هو البعد : النجاة الوحيدة .

خسارة أنك متّي

صدقي ، محق هو البكم . لكل إنسان ينتمي إنسان واحد فقط .

المجرة إنسانان .

هنا تقفين وراء ظهري . رغم ذلك أموت وحيدا .

- ٢١

النهار أيضاً يلتجىء .

أتمنى لو أخذتك معي ، صدقيني . لكن كم هطل الثلج .

ممتع . إنني ثمل أيضا . ممتع مع الفتيات الكبيرات ذوات الثغور الطرية أيضاً ، رغم ذلك انك في ذاكرتي .

٢٢ -

كل ليالي سيئة . لكأن النهارات قد امّحت .

على الأقل في الليل ، أجدني حياً .

يجب على البعد أن يكون في دوائر أوسع .

خلف عيوني المطبقة ترف حمائم بيضاء في الظلام . عندما تسطع الشمس على رأسي لفترة من الزمن ، يخيم ظلها الأسود . صعب الاستلقاء بلا حراك .

٢٣ -

حلم غريب كفاية . تصلين متأخرة بمعطف أصفر . طويــلاً يسقط عليك الثلج ، وشعرك أسود رغم ذلك ، ولا يلمع الضوء على طرف عينيك .

لا أخطر على بالك ، بينما أنا أكون حولك العشب في كل اتجاه .

ويكون هدوء . إننا نكون أنفسنا . لو تحبّينني .

٢٤ -

لا أعرف من أنت

٢٥ –

ترين ، بهذا الشكل يكون مضحكا ، الموت والحب •

٢٦ –

هنا أعيش في القرب من « صولنك » هنا آخر مــرة رأيتك عند المبور ، عام ألف وتسعمائة وأربعة وأربعين •

□ □ □